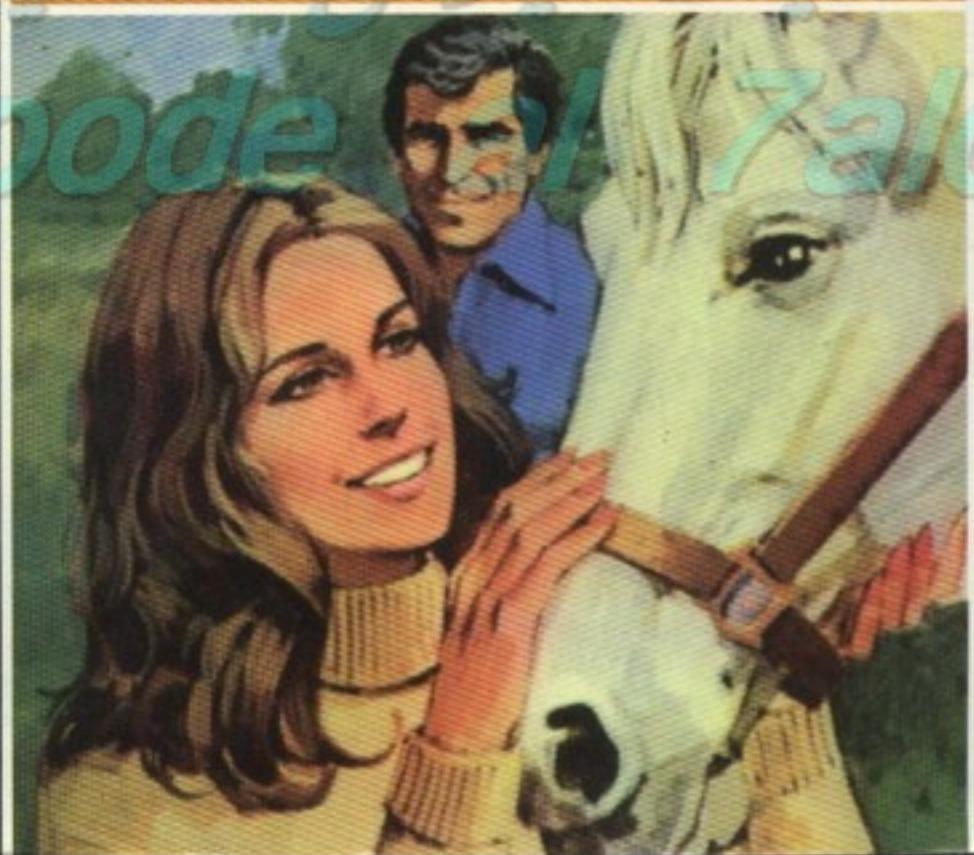


روايات احلام



عصفوره الصرى



روايات احلام

عصفورة الصدى

ايف الفتاة الشقية الحلوة كبرت، ولكن هل كبرت إلى حد أن تجيد الاختيار؟ للأسف لا، فعندما علم خطيبها الأخير أنها لن ترث شيئاً تركها مثقلة بالخيبة والديون لغارث ماسترز الذي كان يسد نفقاتها منذ زمن بعيد، دون أن تعلم.

حمل غارث على عاتقه مسؤوليتها واصطحبها إلى مزرعته مقرراً أن تظل قربه لثلاث خطىء مرة أخرى... وهناك في أرض الطفولة والأحلام، أخذ كل ما حولها يهمس لها: اتبعي قلبك! وأقلقها هذا حتى قررت أن تكسر القوانين...

لبنان ٢٠٠ د.	الإمارات ٦ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	تونس ١٥ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	عمان ٦٠٠ ب.	السعودية ٧ ر.	العراق



١ - الحمقاء والعملاق

أيقظها رنين هاتف الرعدة الخارجية . . فهرعت إليه وذراع في كم الروب الحريري الوردي المطرز ، والأخرى خارجه .

ردت بصوت أحش : «نعم؟»

- آنسة ماسترز؟ هنا مؤسسة وولف وشركاه . يود السيد وولف التحدث إليك .

غطت إيف سماعة الهاتف بيدها وتناثرت . لماذا يتصل جايسون في مثل هذه الساعة المزعجة؟

- إيف؟

إنه صوت جايسون وولف الأجرش .

- صباح الخير جايسون .

- تبدين نعمة عزيزتي . . حفلة أخرى؟

- مجرد عناء مع هوك .

لم يكن جايسون متعجباً بخطيبها الأخير ، فقال بيرود :

- آه . . أجل . الواقع يا عزيزتي أنتي أرغب في روبيتك هذا الصباح .

ولكتها على موعد مع العزيزين في العاشرة عشرة وعلى موعد مع هوك بعد ذلك .

- لا يمكنك الانتظار جايسون؟

روايات احلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة
والنشر والتوزيع ش.م.م .
ص.ب: ١١/٨٢٥٤ - بيروت - لبنان .

المدير المسؤول: آمال سبايا الهاشم

جميع حقوق الطباعة والنشر والاقتباس والتأليف محفوظة للشركة .
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

تفتيذ وطباعة مؤسسة دلتا للطباعة والنشر
حارة حربك ت: ٨٢٣١٦٨ - ٨٢٧١٥٨ .

تبين جايسون لهجة صارمة: «لا عزيزتي، فليكن لقاونا في تمام العاشرة والنصف».

وصلت إيف في الوقت المحدد فرأى جايسون الرجل البدن، المترهل الذقن الأزرق العينين يتظاهرها. قال معلقاً على مظهرها الشاب الندي وكأنه أب فخور:

ـ فاتنة! يا ذلك من فتاة جميلة إيف.. تجعليني أحياناً أتنفس لو تغلبت على كراهيني للزواج، لأستمتع بروبة ابنة تشبهك.

ردت إيف بمحنة:

ـ لكنك كنت أثيبة باب لي جايسون.

هز جايسون رأسه الأصلع:

ـ يعلم الله أنتي حاولت.. فكري فقط في سفر راكليل وتركك هنا.

ـ لقد تباحثنا هذا الموضوع سايقاً جايسون.. هنا موطنني وفيه قلبي وروحي.

ـ غير أن أملك أضفت السنوات الخمس الأخيرة في لوس أنجلوس.

ـ لم أشعر فقط بالوحدة.. أحياناً مدرستي وجامعة.. لي عدد وغير من الأصدقاء.

ـ هذا ما يحدث دائمأ عندما يكون المرء ثرياً.

وافتقت برضى: «اليس ذلك رائعاً؟ لا أصدق أن راكليل رحلت؟

ـ كانت فعلاً كما وصفتها.

كانت راكليل ماسترز أكثر النساء انتلاقاً وأشدهن فتنة وتواضعاً، فلم يكن في قلبها غرور أو خبث ويبس هذه الصفات قد يغفر لها المرء كل شيء عن ابنته الوحيدة.. أما مونها الفجاني وهي في الرابعة والأربعين، فوقيع نتيجة طريقتها المتهورة في الحياة.. فيما تلزم

السأء بيتهن للعنابة بالعائلة، انجهت راكليل إلى التسلل بعيداً.

ارتبت إيف لرؤوفة اضطراب جايسون، فسألت:

ـ ما الخطب؟ أهي الوصية جايسون؟ أهذا ما يزعجك فيها العجوز الرفيق القلب؟ لا حاجة بك إلى قراءتها.. أخبرني فقط كم سارت.

انقضى جايسون: «يا ابنتي العزيزة أكاد أبكى.. لأنك لن ترئي جنبها».

ـ يا له من وقت يختاره للمراء!

ـ هيا الان جايسون!

خلع نظارته ينتفخها: «قلت الحق عزيزتي.. كانت راكليل غبية إلى حد غير معقول، فطالما مولت مشاريع صديقها الجيغولو الطائشة، صديقها الذي يعيش على مالها، وأغلبظن أنها لم تفكر فقط في أنه عديم الموهبة والعقل في التجارة.. والنتيجة أنه لم يبق شيء!»

حولت الصدمة بشرة إيف الفتنة الخالية من العيوب إلى لون أبيض.. وقالت وعقلها يرقص ما قاله جايسون:

ـ لا أصدق! ترك أبي لها ثروة!

ـ يداتها أمل على سباق الخيل والرجال! طالما ردت لها أن الثروات تنفذ.. لكنها ظنت أن ثروة ماسترز لا تذهب.. في الواقع خصمت مبلغاً هائلاً لفقاتها ولتفقات ذلك المغفل الذي تزوجته.. تهدى تهديدة عميقة ثم أردف:

ـ ولم يكن زوجها رجلاً محترماً ناصحاً بل ممثلاً معموراً في أفلام وضيعة.

ـ ولكنه كان في غاية الوسامية جايسون.. ألم يكن وسيماً؟ كانت راكليل تضع في أولويات اهتماماتها المظهر الجميل..

ـ كان «جيغولو» لعبينا! وقد استطاع التحكم بها.

ردت إيف، وهي لا تشك أبداً في أمها:

البيضاوي الصغير يسجل ما يشهي الرعب
 - ليس غارت؟
 هز جايسون كتبه العريضتين التقبيلتين:
 - ومن غيره؟ لقد طلبت مني راكيل أن أتوسل إليه... وهذا ما فعلته... لقد حدث ذلك إن قيامها بتمويل ذلك الفيلم الخبيث لزوجها.
 نظرت إيف إلى فستانها المحريري الجميل الفخم
 - أعني أنه كان يدفع ثمن ملابسي
 - هذا ما أخشاه.
 تأوهت: «يا الله! أنا أفضل لو أتفق على أي رجال سواه»
 - ولكنه يا عزيزتي اللورد الحالي...
 عاد ليستوي في مقعده الجلدي المرتفع الظاهر
 - لا تستاني يا فتاتي الحبيبة، بإمكانه الإنفاق عليك فعائلة ماسترز، كما تعرفين، ثرية جداً... والوابت هاند هي أكبر وأغنى شركة زراعية في إستراليا وليست الزراعة فقط محور اهتمام الشركة... فغاراث شارك في التنقيب عن المعادن... وأنت تعلمين أنه اكتشف متجمماً ضخماً ونمة مصالح أخرى... إن غارت هذا المتنقل حقاً...
 وافتتح إيف بمرارة: «أتلق حقاً».
 تذكرت المرة الأخيرة التي رأى فيها وتدكرت التحدى الذي واجهه به... إنه ديكانتور وهيب من الطراز الأول... آه! هي لا تقوى على التفكير في أنه كان يدفع ثقبات ملابسها وزينتها وتعليمها الجامعي وسبارتها الصغيرة الحبية... البورش
 صاحت برينة عذاب: «آه! ما أشد كرهي له».
 - لا تصرخي يا جميلتي...! فما كان يتدخل في شؤونك إلا من أجل مصلحتك... أليس هو من دعم موقفك عندما أصررت على البقاء في أمريكا، ضارباً بعرض الحائط تأثير أمك، كان ذلك تفهمها

- طالما أحبت راكيل الشجار... فماذا سيفعل الآن بدونها؟
 قال جايسون بحدة واحتقار:
 - سيفتش عن امرأة ثانية أخرى... تكبره بعشر سنوات ليتزوجها! لقد رجوت راكيل لا تتزوجه... ولكن كالعادة، لم تصحح إلى بل استسلمت إلى ذلك الأحمق الأسمى! ولا عجب أن العائلة تنفت الصعداء حين اختفت من حياتهم...
 قالت إيف بحزن:

- طالما اعتبروها مجرونة... مسكنة أبي فقد كانت سخيفة إلى حد التطرف... سمعت الجدة ماسترز الكبيرة تقول هذا عنها... كيف تزوجت أصلاً برجل من عائلة كهذه؟
 بدا جايسون مرتجاً فأدرك إيف أنه مصدوم أيضاً، وقال بحماس:
 - ولكنها كانت رائعة الجمال! لقد تزوجها مارك رغم معارضة أهلها الشديدة. كانت أشبه بزهرة في أوج الريع، وأنت مثلها... والأنيق من هذا أنها شفقت بمارك إلى حد الجنون...
 - حتى فرقهما الموت...
 لم تكن إيف حتى الآن قد تغلبت على خسارة والدها...
 - لا أقدر على التفكير في أنهما قتلاني في حادثة لا معنى لها... طوى جايسون رسالة يدت مهمة وقال:
 - كانوا يحبان المخاطرة... ثمة أمور أخرى أريد أن أقولها لك...
 استدار نحو النافذة الزجاجية المطلة على المدينة الصافية، وأكمل:
 - كانت عائلة ماسترز تتفق عليك في السنوات الماضية...
 - ماذا؟
 جلس إيف لبرهة عاجزة... ثم دنت من جايسون، ووجهها

لوضعك .. أنا أرجو حبساً أذكر في ما كان سيفيد لو كنت معها
الكريسي قاتلها .. إنه شاب بغير الطلعه، وهذا ما يعرفه حق المعرفة
- حبيبي .. ما بالك؟ أما زلت حزينة على راكل؟
أزعجتها لهجهه الساخرة: «كانت أمي».
ضحك متسامحاً:
ـ وهل اكتشفت هذا الآن؟ لم أنت بأقل منها إهمالاً بحق ابنتها.

كانت تصرف كمراهقة خالدة.
أخذت بازدياد ازعاجها: «كانت تعيش الحياة لحظة بلحظة
ولكتني رغم كل شيء أحييتها».
علق بخث: «ومن كان يكرهها، وهي أكرم المخلوقات على وجه
الأرض، لقد نلت جميع ما رغبت فيه .. وهذا حظ رائع لفتاة شابة».
قالت وعيناها التجلاؤان مستع탄 من الصدمة:
ـ لم يكن الأمر كما نظن. لا أتفق بذلك هذا، ولكتها ماتت مثلثة.
كادت بشرة هوك الذئبية تصبح خضراء:
ـ ماذَا تقولين؟

ارتجف ثغر إيف الجميل: «القد أتيت مباشرة من مكتب جايسون
الذى أخبرنى أن المال قد ولى منذ سنوات».
ـ ومن أين هذه الملابس الفخمة؟
أخذت عيناه تطوفان على خصلات شعرها الأشقر البراق، وعلى
وجهها المزین بأفضل مستحضرات التجميل ومن ثمَّ على فستانها
الأتique، وحذاها العالي الكعبين المستوردين الخارج.
ـ لا تبدين بمظهر المرأة المفلسة.

ارتجفت إيف، ربما من جهاز التكيف: «ليس ما تراه علىٰ من
مال راكل».
سألها بحيرة محرك رأسه بعيناً وشمائلاً: «مال من إذن؟»
في لهجهه ما جعلها تشعر بالغضب.

ولاحظ ذلك «الجيغولو» نضوجك وتفتح براعنك
ـ وماذا سيفيد لي الآن؟
ـ أظن أن غارت سيمتر في العناية بك.
رددت بحقد وسخط: «غير أنني لا أريد شيئاً منه! إنه لا يحبني
حتى».

قال جايسون بهجة من يمتلك معلومات أفضل:
ـ يا لهذا الهراء! ربما لا يوافق على أمور عديدة قمت بها كمسانة
خطوبتك لهوك هذا ولكنه رغم كل شيء مهمته بك حقاً .. على أي
حال، أنت ابنة عمده، ولو من بعد.
بدت الحيرة في عيني إيف الخضراوين: «ستحسن بي البحث عن
عمل».

وهذا أمر عظيم على فتاة ليس لها هدف جدي في الحياة.
تمتم جايسون متوجعاً: «ليست الذكرة بسيطة فنجد كفت ناجحة في
الجامعة».
بدأ رأس إيف يرتعش .. لا شك أن ما يتوله مجرد ثورة لأنشأه
أو كابوس سرعان ما تستيقن منه.
ـ يجب أن أتحدث بهذا مع هوك.
ولكن جايسون لم يكن يثق بذلك الشاب، فتم: «اعطلي ذلك إن
كفت مضطربة» ..
نقدم هوك نحو إيف الحالة في المطعم بانتظاره وانحنى بشم
وجنتها:

ـ همم .. راحتلك للذيدة؟ أهذا فستان جديد؟
ضحك إيف ضحكة فصيرة غريبة: «أجل».
بالأسف فتاة ثرية، وفي العد عاطلة عن العمل. جلس هوك على

- لم أكن أعلم أن لمالى هذه الأهمية عندك

مال هوك إلى الأمام، وأمسك بيدها ملائعاً بخاتم الخطوبة.

- انتظري قليلاً حبيبتي لأننيأشعر بالارتياخ وبالضيق من أجلك،
فما يُؤثر فيك يؤثر فيي. كيف تتخيلين هذا القدر من المال وانت لا
تملكيه؟

- ثمة من يوفره لي

فغر هوك فاء: «بأنه عليك ماذا تقولين؟»

- بالاختصار أقول إن أحد أقربائي بدد فواتير كلها.

ظل هوك فاغرآ فاء: «لا تقولي إنه ماستر، ابن عمك البعيد».

- أجل.. ولا أظنين سأغلب على الصدمة.

- وهل اكتشفت ذلك اليوم فقط؟

- أجل..

مالت إلى الأمام تقول باللحاج: «سأضطر إلى العمل حتى نتزوج».

بدا هوك وكأنه يوشك أن يمسكها ويهزها بعنف

- لا شك أن لديك بعض المال فلا يمكن حتى لأملك تبديد ثروة
كبيرة.

- جايـون لا يكذـبـ عـلـيـ! ويـجـبـ أنـ تـذـكـرـ أنـ هـنـاكـ منـ سـاعـدـهاـ
عـلـىـ تـبـدـيـلـ الثـرـوـةـ.

صـمتـ هوـكـ عـاـسـ العـجـبـ بشـدةـ.. ثمـ قالـ:

- حـسـنـ جـداـ! عـلـيـكـ السـعـيـ إـلـىـ مـاسـتـرـ هـذـاـ.. لـتـعـرـفـ كـمـ
بـساـويـ.. مـلاـيـنـ عـلـىـ مـاـ أـقـلـ؟ مـنـ الإـجـاحـ أـنـ يـمـتـلـكـ رـجـلـ وـاحـدـ
هـذـاـ مـالـ كـلـهـ.

هزـتـ رـأسـهاـ: «لـاـ شـانـ لـيـ بـمـالـهـ».

- لاـ شـكـ أـنـ أـمـكـ مـاـ تـرـازـ مـحـتـفـظـ بـأـسـهـمـهـاـ فـيـ شـرـكـةـ الـوـاـبـتـ هـانـدـ.

- يقولـ جـايـونـ لـاـ، فـحـيـنـاـ تـزـوـجـتـ كـوـبـرـ بـاعـتـ أـسـهـمـهـاـ.

قالـ سـاخـرـ أـسـخـطـ

- ياـ لهاـ مـنـ غـيـرـ! أـلمـ تـعـرـفـ أـنـ مـثـلـ هـذـهـ الأـسـهـمـ مـفـدـسـةـ؟

نـظرـتـ إـيـشـ إـلـيـهـ مـبـسـمـةـ اـبـسـامـةـ حـزـيـنةـ.

- كـنـتـ سـأـرـتـ أـنـ تـلـكـ الـأـمـوـالـ أـلـبـسـ كـذـلـكـ هوـكـ؟

سـرـعـانـ مـاـ نـلـاـشـتـ الـحـدـدـ وـالـتـوـرـتـ مـنـ الـهـجـهـ هوـكـ

- وـمـاـ زـالـتـ لـكـ.. فـلـنـ يـتوـانـيـ مـاسـتـرـ مـنـ دـعـمـكـ

مـادـيـاـ.. وـأـظـنـهـ سـيـقـدـمـ لـكـ هـدـيـةـ زـوـاجـ عـظـيـمةـ.

- أـنـتـ لـاـ تـعـرـفـ غـارـتـ، إـنـهـ رـجـلـ قـاسـيـ وـالـأـنـكـ أـنـهـ غـيرـ موـافـقـ

عـلـيـكـ.

بـداـ مـرـعـوبـاـ أـكـثـرـ مـنـ مـنـزـعـجـاـ: «عـفـواـ؟»

- لـمـ أـذـكـرـ الـأـمـرـ سـابـقاـ وـلـكـنـ تـنـ يـكـلـمـنـ.

وارـتجـفـ صـوـتهاـ الجـمـيلـ.. وـلـمـ يـسـتـوعـ هوـكـ قـولـهاـ.

- لـكـنـتـ لـمـ أـقـبـلـهـ سـوـيـ مـرـةـ.. وـفـيـ تـلـكـ الـمـرـةـ عـامـلـيـ بـتـهـذـيبـ

وـبـتـرـفـ مـلـوكـيـ.

نـفـثـتـ نـفـسـاـ مـتـحـشـرـ جـاـ: «لـمـ يـظـنـ أـنـ عـلـاقـتـناـ سـتـدـومـ».

- هـرـاءـ! أـنـحـنـ سـعـيـدانـ مـعـاـ.

- أـعـرـفـ هـذـاـ.

نـظرـتـ إـلـيـهـ بـحـيـرـةـ.. هلـ هـمـ سـعـيـدانـ؟ هوـكـ شـابـ جـذـابـ،

مـلـقـفـ، وـمـدـيرـ تـخـيـلـيـ صـادـعـ وـوـاعـدـ فـيـ مـؤـسـسـةـ إـعلـانـةـ.. وـهـوـ إـلـىـ ذـلـكـ

جـذـابـ وـلـعـلـ ماـ جـذـبـهـ إـلـيـهـ سـهـولةـ مـعـشـرـهـ وـتـصـرـفـانـهـ الـخـالـيـةـ مـنـ الـهـمـومـ.

- ثـمـ طـرـيـقـةـ لـلـخـالـاصـ مـنـ هـذـاـ حـبـيـتـيـ.. وـأـنـاـ وـالـقـ أـنـ اـبـنـ عـمـكـ

الـعـزـيزـ، لـنـ يـتـرـكـكـ بـدـونـ بـانـةـ.. فـاـتـتـ بـيـتـةـ.

- لـمـاـذاـ لـاـ تـزـوـجـ؟

- لـمـ نـفـقـ أـنـ بـتـمـ الزـوـاجـ حـيـنـ تـبـلـغـنـ الـحـادـيـةـ وـالـعـشـرـيـنـ؟

- أـيـ جـبـنـاـ أـسـتـطـعـ أـنـ اـرـثـ مـالـيـ.

- أنت تحببتي نورما؟
 - طبعاً.. ولو كنت أعيش مما أنت عليه لأحبك الناس أيضاً فانت
 لطيفة جداً.
 - لم تعييني قط بمعالي..
 - المال لم يفسدك حبيبتي.. وكان هذارأي الراهبات في الدبر..
 - وقد نفعني وأيهن لأنني لم أتلق العقاب الشديد.. ولكن الحقيقة
 يا نورما التي مقلهمة متذبغض سنوات..
 اسْعَتْ عَيْنَا نُورَمَا الْبَيْتَانَ: «كَيْفَ؟ أَشْرِحِي لِي الْأَمْرَ إِذَا»
 وطفقت إيف تخبرها..
 - حسناً.. ليس الأمر رهيناً على أي حال!
 - لا؟
 - وماذا قال هووك؟
 كان في نيرة نورما سخرية.. أجبت إيف: «صدمة».
 - لا يدعهشتني ذلك..
 ومنعت نورما نفسها عن قول المزيد..
 - لا أظنك أحبيه يوماً؟
 امْتَعَقَ وجِه نُورَمَا: «آه حبيبتي...»
 - لم تذكرني أنت أو زوجك ذلك ولكنني شعرت دوماً بأنكما
 تتحملان وجوده من أجلي.. لماذا لا يعجبك.. إنه وسيم ذكي، ومرح
 جداً.
 لمعت عيّنات نورما بالغريب..
 - إنه لا يناسبك إيف.. أنت صديقتي التي أحب.. وأنت الوحيدة
 التي كانت معنِي حين كنا معاً في المدرسة الداخلية.. ولم تشعر
 الفتيات التي كنت تعيشها وبائسة ومرعوبة بسبب ابتعادي عن والدي،
 أما أنت فصادقتي وكانت صداقتك العامل المهم الذي حال دون

التقط يدها يلتمها بخفة: «أحبك إيف شخصك أنت لا أقول إنك
 أذكى الفتيات ولكنك أجملهن على الإطلاق»..
 - لكنني كنت في الواقع من أفضل الطالبات..
 - أعني في الحياة حبيبتي.. نذهلنني براءتك.. أنت فريدة من
 نوعك..
 لم تشك إيف في هذا.. فهووك يعتبر الأثني التي تبلغ العشرين عاماً
 بدون أن تكون ذات تجربة فتاة غير سوية، وهذه نظرة لم يغيرها..
 قال فجأة يحرم: «أكملي قهوتك.. فانا مضطر للعودة إلى
 المكتب»..
 بعد ظهر ذلك اليوم توجهت إيف بسيارتها لزيارة صديقة من أيام
 الدراسة وهي صديقة متزوجة منذ ستة، حملت حديثاً.. بعدما تبادلنا
 التحيات بمحة صادقة، عقدت إيف ذراعها حول خصر نورما
 المتنفس..
 - الآآن أرى فيك مظهر الأمومة..
 - ألم أعد أشعر بالغثيان، وقد قلت لك رايغ ان بإمكاناني العمل بضعة
 أشهر، لكنه لم يوافق..
 - هكذا هم الرجال، يخافون على زوجاتهم في العمل الأول..
 في المطبخ بدأت نورما تعدد القهوة وتسأل إيف:
 - حسناً.. هل من جديد؟ أعجبني فستانك ولكنك تبدلين دائمًا
 رائحة..
 - لن يطول بي الأمر!
 توقيفت عن الاهتمام بالقهوة ونظرت إلى إيف بإمعان:
 - لا يعجبني قوتك!
 - عجلني بإعداد هذه القهوة نورما لأنني أشعر بصداع يشق رأسي..
 - ما خطبك، فأنت لم تنتك قط يوماً من صداع كهذا.

- لكنك حصلت على كرایغ.. وهو لطیف جداً، وشريف،
ويحبك.

بدأت نورما تضحك: «وماذا عن غارت؟ أليس شریقاً ولطیفاً؟

الأمر كل الأمر أنك تحببته».

لا يمكن شيء أن يصدم إيف أكثر من هذا.. قالت بغضب:

«شكراً لك جزيل الشكر».

ـ أنا بطريقه ما خارقة للطبيعة، وبعيدة النظر.

ـ هذا ما أظنه.. إنما أخطأت بالنسبة لغارت.. فانا لا أطيق وجوده.

ـ أنتفين لماذا؟ لأنك خائفة منه..

ـ لست خائفة.. أنا لا أخاف أحداً.

ـ إذن.. لماذا كان أصدقاؤك وخطيباك تقيسن غارت؟

ـ لأن لا وجود لنثيبه له في كل الدنيا.

ـ لا تخضسي.. لو أردت غارت لحصلت عليه بهوله فأنت تملكتين كل المعطيات المطلوبة: الجمال والذكاء وسهولة المعاشر وحسن الخلق.

ـ نورما عزيزتي.. أنت تهدرين وقتنا.. فانا لم أسمع فقط كلاماً غريباً كهذا.. قد يكون غارت رجلاً وسيماً.

ـ قاطعتها نورما تؤكد بذلك: «بل مثير».

ـ اعترفت إيف والتورد يكسو وجهها:

ـ أجل.. إنه مثير.. ولكنه معقد جداً بالنسبة لي.. ومهبب جداً ومحنك جداً.. وأنا لا أحب الرجال العدائيين والمنسلطين.. لا أفهم كيف ذكرت أنتي قد أميل إليه.

ـ بينما كما شيء ما.. ربما نوع من التجادب الكيميائي البدائي.. فلا أظنه مثيناً صدك كما نظتين.

التعليقات اللاذعة ضدي.. وأصبحت أجمل، وأذكي، وأحب فتاة في المدرسة صديقتي.. لم أكن أريد أن تتألمي.. ولكنني لم استطع، أنا وكرایغ، إلا أن نفكك، فنحن نرى هوك رجلاً مخدعاً متلماً ينبع إلى المال.

ـ لا!

رمت نورما يضئها على كرسي المطبخ:

ـ هاك.. اللد المثلث.. قال لي كرایغ أن أقل فمي.

ـ لكنني طلبت منك رأيك.

ـ بلهاه.. بلهاه.. بلهاه.. هذا ما أنا عليه!

ـ وضررت طاولة المطبخ فقالت إيف بحزم:

ـ كفى الآن، لا تزعجي نفسك، المهم أنت أنهيت إعداد القهوة.

رفعت نورما عيتيها الدامغتين:

ـ أرجوك سامحيني لما قلت لك.

ـ أسامحك ولكنني أشك في أنك على حق.

بدت الحيرة والراحة على نورما:

ـ هذا لا يعني أنه لا يحبك.. سيكون مجنوناً إن كان لا يحبك.

ـ أوه.. بالليلوس نورما..

ـ أرادت إيف أن تبكي ولكن لو يكت لطافت دموع نورما..

ـ قلت لي بنفسك إنه لم يعجب غارت.

ـ غارت لا يوافق على أي شيء.

صبت نورما القهوة، وجلست بقائمة إيف.

ـ لا أستطيع أن أنسى المرة الأولى التي صحبتي فيها إلى الوابت هاند يومذاك لم أستطيع أن أنتزع عيني عنه.. إنه أروع الرجال.. كنت أقع في غرامه كلما ذهبتنا إلى هناك في الإجازات.. لكن رجلاً مثله لا ينظر إلى أمثالى أبداً.

- ألم تنهضي بعد أنني مخطوبة؟
- إنه تكبير دفاعي، أذكر كيف بدت حين تأخرت طائرته عن موعدنا.

- وكيف كان الجميع؟
خفق قلب إيف للذكرى.. فلو أصاب غارت مكرورة لحدث كارثة كبيرة.

ذكرتها نورما: «لقد رمت نفسك عليه بكل سهولة حين وصل وحسبما ذكر، تعامل بروعة مع هستيرياك».
اضطررت إيف للاعتراف: «أنا بالطبع أهتم لأمره ولكن في شخصي أوجهها كثيرة أمنتها كما أنه قادر على أن يكون مرعباً إن شاء».
وبدت نورما بحثت: «تصدقين أنه ليس رجلاً تدبرته حول اصبعك.. أعرف أنني لم أشعر بالدهشة لأنه يعيлик».
نوردت وجنتا إيف فجأة:

- أجل.. أليس هذا رهيباً؟ نورما.. ماذا سأفعل؟
بعد يومين، وصلت رسالة من الجدة الكبيرة ماسترز... فخفق قلب إيف قليلاً.. لقد كان تهارها فظيعاً، فقد تعرضت لمقابلة فاشلة بخصوص العمل هذا الصباح، حيث أن درجتها الجامعية لم تعن شيئاً، وكان لنقص خبرتها الأثر الكبير. وبعد ذلك حدث لقاء عاصف مع هوك وقت الغداء، خرجت منه بدون أن تأكل شيئاً.. ومنذ أقل من نصف ساعة، قيل لها في مقابلتها الثانية لأجل وظيفة، إن لديها الكثير من المؤهلات للوظيفة. لكنها بحاجة ماسة إلى المال الذي لن يلبث أن ينفذ في نهاية الشهر وهذا يعني أنها ستضطر إلى بيع شقتها الفخمة، لكن، لمن هي الشقة في الواقع؟.. أهي لغارث؟ سيكون الأمر رهيناً إن كانت مرتبطة لرجل يبعد عنها مئات الأميال.

كانت رسالة الجدة كشعاع شمس بين غيوم الشتاء الديكتاء.

تعاطفت معها مرة أخرى لموت والدتها، مع أنها كانت تعرف رأي الجدة بأيتها.. وفي النهاية دعت الجدة إيف إلى الوايت هاند بحجة أنها تريد رؤيتها.. الجدة هي الفتاة المسيرة لكل شؤون المنزل والمحطة الكبيرة، منذ زواج ابنة زوجها لوريس وانتقالها للسكن في كابيريا مع زوجها.. في المنزل أعداد هائلة من الخدم الذين ليس لديهم سوى «سيدة» واحدة.. أما زوجة العم دايفيد الجميلة الماكيرة كريستين فلا حساب لها.

سيكون سفرها إلى الوايت هاند أسهل طريق، فالجدة لن ترضى أبداً أن تراها في أزمة.. ولكن من ناحية أخرى أن لها أن تقف على قدميها.. لقد تمنت بمحاجتها مدة طويلة.. التقطت صحفية المساء، وقلبتها بسرعة إلى صفحة الوظائف الشاغرة.. لكنها لم تجد أملاً لها.. تهافتت بشدة.. آه.. ها هي وظيفة شاغرة، والمطلوب القدرة على التعامل مع الناس على جميع المستويات، إضافة إلى القدرة على التهدئة وإجادادة الطياعة ومساعدة عامة تعيش في المنزل.. وأرمل؟ ليس لديها الخبرة في هذا المجال.

حان موعد مسللها المفضل الذي تدور أحدهاته حول عائلة ثرية وهو يذكرها بالوايت هاند.. فكرت في الهالة التي تحيط بعائلة ذات ثراء فاحش.. ولكن الشيء الوحيد المختلف مع غارت، أنه لا يستخدم ماله كهراوة للإرهاص.. أم تراه يفعل؟
فيما كانت تشاهد المسلل فرع جرس الباب فلعلت أن القادم هوك، فصاحت:

- ادفعه..! إنه مفتوح.

- حبيبي! أنت لست عابسة غاضبة؟

عيادة العسلitan نادمتان..

- ولم لا أغبس.. لدد كان يوماً مشؤوماً.

- ربما.. أنت بكل تأكيد جذاب.. ولكنني لم أشعر قط بانتي
أريد تجاوز الحدود معك.. هل للافتار وجود حقاً.. أم أنها نفراً عنه
في الكتب فقط؟ أنا آمل به.. أتوف إليه.. ولكنني لم أخبره حقاً، ولا
أفهم ما تدعونا النساء المتحررات إلى تصديقه!
عائقها فشرعت بجسمه كله ينبعض:
- إيف، حبيبتي دعني أثبت لك وجوده.. أنت جميلة..
جميلة..!

تارعت انسانه فبدأ يعطي وجهها بقبيلات خفيفة، غير عاليٍ
حتى ولو تجاوز حده..
لم تستطع إيف لبرهة التفكير.. فما يحدث غير منساغ بالنسبة
لها.. هو كخطيبها.. وفي الواقع عليهما أن تذوب رغبة بين ذراعيه..
ولكنها تعرف أنها لن تذوب حباً.. وهي فعلاً باردة؟ أتعاني من ردة فعل
نفسية لا واعية لأن أمها المسكونة تالقت بعلاقتها الغرامية؟.. لا..
ليس عليها أن تحفل نفسها
تسللت يد هوك عبر يائة «الكومبيو» الحريري الأخضر، يدفع
أطرافه جانبًا.. فشارعت إلى القول: «لا..

- استرخي حبيبتي..
وهل هناك شيء رهيب في هذا؟ إنها على أي حال ليست متزمنة..
نذكر مرة أن ذراع غارت لامست كتفها العاري وهو يفتح لها باب
«اللاندروفر» فاحتست بضمها يجف رعباً.
بدا في صوت هوك العذاب وهو يهمس:
- إيف ألا تعرفين ما تفعلين بي؟ ألا تشنرين بشيء أبداً؟
ولكنها شهقت بسبب لسانه وقالت:
- أوه.. لا تفعل هذا هوك!
على المرء أحياناً اتخاذ القرار عن الفتيات الصغيرات.

لكنها في الواقع لم تكن..
- هل لي أن أدخل؟
- طبعاً.. أنا أشاهد مسلسل المفضل..
- ومن لا يشاهده؟ فالحالة فيه يجدّبون الناس!
- ما كان لشاهد المسلسل لو كانوا جميعاً فاسدين..
- ليتك تطفئين التلفاز..
- كما شاء..
- تعالى إلى هنا..
ردت بدون وهي: «حسناً».
شدها إلى صدره وأيقاها هناك:
- ألا تعرفين كم أحبك؟ ألا تعرفين أن يقامتنا معاً هو كل ما يهمني؟
احنى رأسه فلثم وجهتها الندية البيضاء ثم أردد:
- أعرف أنا سعيد السعادة.. آه، ليتك تطلقين فقط العنان لنفسك..
سألته بجرأة: «أثير إلى مشاهدة الفراش؟»
هذا ما يفعله الكثير من المخطوبين..
ظلت جامدة بين ذراعيه: «أعرف، ولكنني قديمة الظراء».
ويتخها هوك: «تفصدين بذلك أنك غير متعلقة أم أن لهذا علاقة
باختلاطك مع الرهابات؟»
رائع! هل اكتشفت هذا يغرك؟
نعم في بعض منه فقد أخبرني أحد الشبان أنك تجمدين حين
يتمادي معك أحدهم..
إنه ثمن باهظ تدفعه المرأة.. ولا أعتبر جسدي سلعة مبتذلة..
لكن حبيبتي.. نحن نخطط للزواج والطريقة التي تتصرفين فيها
معي، غير طبيعية..
ردت معرفة بمرح قلق:

الإحساس الذي تشعر به . . إنها بالفعل غبية بلهاء لأنها خططت لحياتها
معه ! إنه ليس أبداً ما تزيد . . وهي تنكشن سما بجري وكأنه كابوس
يحدث لشخص آخر .

عندما رفعتها ليحملها إلى غرفة النوم صاحت بصوت حاد ملؤه
الذعر والتوس والإخراج .

قال بألوم شرير : « إن صرخت ثانية ضربتك » .

وجعلتها كلامه غاضبة بالفعل : « أيها القرد المتوحش »
لم تستطع غرز أظافرها في وجهه . . لأن ذلك تصرف سوقي ،
ولكنها فتحت فمها استعداداً للصرخة مرة أخرى . .
تعالت ضجة من الباب الأمامي فتسمر كلاهما ثم رأيا الباب يندفع
إلى الداخل بوحشية ، وبطل منه رجل طويل قوي البنيّة راح يتقدم
بطريقة مخيفة تليق بوحش . .
ذعر هوك من القادر فصاح مرتجعاً .

ـ من بين كل المتعجرفين ! يا لهم ! هذا أنت سيد ماستر !
ارتجمت إيف بعنف حتى كادت تقع من بين ذراعي هوك
ـ انزلها من بين يديك . .
لم يكن الصوت إلا همساً ومع ذلك بدا مميتاً، لاذعاً ينفذ إلى
الأعماق .

ذعر هوك : « أؤكد لك أن الأمر ليس كما يبدوا »
لم تتجه عيناً غارت أبداً إلى إيف التصف عارية . . كان جسده
يعندي بطريقة تعطي الانطباع بوجود فقط متواضع على وشك الوثوب .
ـ قلت لك . . انزلها من بين يديك . .

سارع هوك ينفذ ما قاله : « طبعاً طبعاً ». .
لأول مرة يشعر هوك بهذا الخوف من إنسان ولا نظمه إيف سير غب
يوماً في استعادة هذه اللحظات الهisterية التي يبدو فيها غارت متداً

ابتعدت عنه مذعورة لأنها شعرت بتفوقة عليهما ولأنها رأت
التصميم على وجهه . . لم تره جدانياً بل شريراً ومغرياً .

قالت بلهفة : « إن لمستي صرخت » .

ـ سنجين ما أفعل ، وأعلمك أنه لن تثنيني بعض المقاومة .

قالت تحجج : « أنت لا تعيشي ! »

ـ وماذا يفعل المتزوجون برأيك ؟

بدأ غاضباً مهيناً . . فقالت بذعر :

ـ حسناً . . هذا ما يفتر عنك . . فلا أفتني أرغب فيك .

ـ لكنك استمتعت بعناقاتي .

ـ لم تكون نهمة جشعة هكذا .

ـ هذه غلطتك . . أنت لا تعرفين شيئاً أبداً، وهذا ما لا يصدق .

ـ فلتوقف الآن أرجوك . أنا آسفة هوك . . لا أنهن حقاً لماذا لا
أحبك . أنا لا أعرف شيئاً . . وانت محظى .

تمت من بين أسنانه : « أيعني هذا أنت تريدين فسخ الخطوبة ؟ » .

ارتدت إلى الخلف عاجزة : « آسفة » .

قال بغضب :

ـ كان عليّ أن أعرف . . كنت أراك تتجاوين مع بضع شبان في
الرقص .

ـ لم يحدث أن تحول أي منهم إلى بغيض معنـ

ـ من المؤسف أنت قررت استغفالـ أنا . . ربما لا تنهـنـ بالعـلـقـةـ
ـ الفـعلـيةـ لـكتـنـ أـهـتمـ بـهاـ .

ـ أـسـكـ بـأـطـرـافـ الرـوـبـ الـحرـيرـيـ وـشـدـهـ بـعـنـفـ،ـ وـماـ انـ فـعـلـ حتىـ
ـ صـفـعـتـ بـقوـةـ .

ـ لكنـ الصـفـعـةـ لمـ تـؤـثـرـ فـيهـ أـبـداـ بلـ زـادـهـ وـحـشـيـةـ . . فـشـدـهـ إـلـيـهـ،ـ
ـ يـسـحقـهـ بـطـرـيـقـ جـعـلـهـ تـحـسـ أـنـهـ عـلـىـ وـشـكـ أـنـ تـقـبـاـ . . رـهـيبـ هـذـاـ

على قتله.

احتبت إيف على الأريكة نتر نفسها وتشهق في الوقت نفسه شهقات صغيرة معدنية. ما أقفلع أن يضبطهما غارث هكذا.. لماذا هو من بين جميع الناس! كان يعتقدنا غبية أما الآن فسيطرها مستهترة خاصة وأنه من يحدد فواتير حتى عش الغرام الصغير هذا.. تأوهت بصوت مرتفع.

قال هوك مرتجفًا: «علي أن أذهب حقاً».

صاحت إيف وصدرها يعلو وبهبط بمرارة: «أيها الجرذ القذر». ومضت عيناه الزمرديتان وتوردة جسمها كله من الخزي والعار. ماذا استعمل حين يصب غارث جام غضبه عليها.

نعمن هوك ليقذ نفسه: «كنت تسأله عن تلك الصرخة..». تقدم غارث خطوة نحوه: «آخرس».

وخرس هوك.. كيف لرجل أن يمتلك مثل هذا الجو من الخطأ والدمار حوله؟

أخيراً ذكر هوك أن يقول: «إنها خطبني!»

كان شاحباً وعياه العسليان مسودتين من فرط الخوف. أما وجه غارث فنطى عليه الازدراء والكرهية:

«لم تعد خطبيها! لقد صرخت لأنك كنت تحاول إيجارها على ما لا تريده..»

احسست إيف بأن غارث على وشك أن يضرب هوك، فقالت:

«لا.. حقاً غارث..»

ادار غارث رأسه الأسود إليها: «سامحي إليك عندما أريد أنا ذلك..»

وكان أن أصمتها نظره وربما ستثال عتابها ضرباً.

رن جرس الباب، وأطلت العجارة:
ـ مرحباً.. ماذا يجري هنا؟
تحرك غارث نحوها، يسد غرفة الجلوس.
ـ لا يأس في هذا.. أنا ابن عم إيف، غارث ماسترز، ربما ذكرتني أمامك؟

قالت الآنسة ماكميلان:

ـ بالطبع.. سيد ماسترز.

تقدمت إلى الأمام تحدق إلى الوجه الوسيم البارز..

ـ أعتقد أنتي سمعت صراخاً وعلى ما يبدو كانت صرخة فرح.

قال برقة: «إنها عادة إيف، لم أخبرها بقدومي».

صاحت الآنسة ماكميلان بحماس، وقد غمرها الفرح لرؤيتها لهذا الماسترز:

ـ ما أروع هذا! هل صحيح حقاً أنك تملك مليون فدان؟

ابتسم غارث لها، ليزيد من بهجتها الخيالية:

ـ تقريباً.. ترتدى إيف ثيابها لأنني سأشجعها إلى العشاء.

فهمت ماكميلان أن عليهما الرحيل:

ـ يا لها من فتاة محظوظة.. أسعدهي لثاني بك سيد ماسترز.. على فكرة أنا مارينا ماكميلان.

ـ كلعني إيف عنك.

ولم يكن يكذب، ورافق السيدة إلى الباب وفيما كانت إيف متكتمة وراء الأريكة تخلص غارث من مارينا المسكونة.

اخترق هوك في المطبخ ملهوفاً إلى الرجل غير قادر عليه. فتحمه سيل واحد إليه، وهو هو غارث يسده بجسمه. قال غارث بصوت قاسٍ

يشير الإضطراب:

ـ لدبك على الأقل جيران يهتمون لأمرك.. اخرجني من وراء

الأريكة

وأطاعته إيف.

- كيف عرفت أني مخبطة هنا؟

- من المرأة أيها الغبية . كما أنتي أعرف أنك جبانة كالنقطة

تجاوزها متوجهًا إلى المطبخ ، فسارعت إيف تلتحق به:

- اسمع غارت، أنا الملامة على هذا.

- أعرف هذا.

- كيف؟

إن محاولة إنقاذ هوك أمر يختلف عن إيقاع اللوم عليها. ومفت

عينا غارت الزرقاون في وجهه الأسمى المهيب:

- يا لغبائك!

ما شعورها نحوه؟ فهو الحب ، العيبل ، أم الكراهية؟ إنه يغضبها

إلى درجة تقاد معها تشنخ سخطًا.

- أنت لا تقبي... أليس كذلك؟

نظر ساخرًا إلى العينين الكبيرتين وإلى الوجنتين المتوردتين وإلى

الكومبوتو الأخضر المنظر بالزهور والطبيور. كانت الباقية المثلثة مفتوحة

يشكل أنظهر بشرتها العاجية.

- هل ستدعين أني خرجت لنوك من العجم؟

- صدق أو لا تصدق . كنت مسترخية في بيتي

وضمت الروب بأصابع مرنجة.

- ولهذا السبب انقض عليك ذلك المتهلك المحتون.

قالت بحدة: «لا تؤذه أرجوك».

- الشجاع وحده يستحق الضرب.

كان هوك في المطبخ بجلس مصدوماً. ثمة ادعاءات كثيرة يرغب
في قولها، لكنه لم يكن يجرؤ خوفاً من عقاب فوري ، فهو لا يستطيع

أن يدعى بأن إيف أغونته . ولكنه يستطيع أن يهدد بإقامة دعوى إن ضربه ماسترز . الذي لن يرحب في نشوئه اسم إيف . رفع نظره متهدباً ماسترز وإيف متعلقة بذراعه ولكنه بطريقة ما قال بوهن:

- حسناً! ماذا تقول؟

قال ماسترز بازدراء: «توسلتني إيف من أجلك».

- هذا ما ظنستها ستفعل ..

يا لقليلها الرقيق هذا . ترك هوك الكرسي ، ووقف:
- أتحمل مسؤولية ما حدث كاملة. أنا وإيف متحابان وقد حدث أن

فقدت صوابي إذ حاولت استعجالها لكنها غلطة لن تتكرر.

قال غارت ماسترز بعجرفة تليق ببابليس :

- كن واثقاً من هذا . لقد عرفت إيف أنها ارتكبت غلطة أخرى .

ليس لديها أب أو أم ، وأنا وصيها الشرعي . لو كنا في زمن آخر لاختت جلدك.

أحسن هوك بأنه كان سيفعل ذلك لو كانوا في الولايات هاند وانه يعرف أن ذلك المكان هو نوع من العمالك الاستبدادية.

- أعيدي إليه خاتمه إيف.

كانت غارت الزرقاون تحططان على وجهها . ولكنها حاولت الحفاظ على استقلاليتها والابتعاد عن إطاعة غارت

- سأفك في الأمر.

تشبع هوك الذي قال متسائلاً:

- ماذا تحاول أن تفعل بنا؟

قال غارت: «الختام إيف».

كان عليها التمسك بموقفها ولكنها لم تتم تحمل هوك ، فأخرجت

الختام الألماسي من إصبعها ومدت يدها به:

- أنا آنسنة هوك.

- أعرف هذا... وأنا لا أعتذر له بسبب ذلك.
وضع غارث يده على كتفها ووجهها إلى الباب
- شكرأه على هذا! سترافق معا خطيبك السابق إلى الباب.
أراد هوك أن يصرخ ولكن له لم يفعل بسبب خوفه، فما هو ولا غيره
من الشبان يقادرين على أن يكونوا نادا له. كم يكدره أمثاله من الرجال
وكم يكره إيف.
وغادر هوك الشقة.

سرعان ما أصبحت رفقة غارث مخفية.. تحركت إيف بقليل نحو
غرفة الجلوس، تحس بالضيق والإرهاق.. وهذا اختصار لما تشعر به
دائماً في وجود غارث.

صاحت: «من أين يحق الله ظهرت؟ أنت تظهر دائماً بطريقة
شيطانية وفي الوقت غير المناسب».

- وهل أنت فخورة بذلك؟..؟ الخطاب يائون ويذهبون لأنك
نهجين فقط وجود رجل يطربك

- هذا غير صحيح!
نظر إليها بازدراه.. ما أشد قسوته!
- لو كنت تعقلين لعرفت أنها الحقيقة.. فانا لاأشعر بالسرور
كلما اضطررت لإنقاذه من مصير أسوأ من الموت.
ـ يا لها من طريقة شععة لوصف ما جرى!

- خاصة بعد تلك الصرخة.. وكيف لم تحصل على ما كنت
تطلعين، لا أدرى.

نظرت إليه وقد عادت إليها روح التحدى
ـ هذا لأنني حكيمة.. فالمحاجن فقط يفعلون ما كان يفكرون فيه

هوك

رد هوك بسراة:
ـ أخشى إلا يكون ذلك كافياً.. فهناك أمر يدعى النكث بالوعد.
بدت الدهشة على إيف: «صحيح؟»
قال غارث: «فاضنا إن أردت مقاضاتنا».

ـ أنت تسيطر على إيف بحيث تصبح عاجزة عن التفكير.

رد غارث بمعجرفه الباردة: «لا أدرى لماذا تريدها إذن فليس عندها
عقل راجع، ولا تملك المال».

برقت عينا هوك وهو يتوعد ما سمع:
ـ لا شك أن لديها المال، فهي من عائلة ماسترز.
ـ إنها ماسترز من بعيد.. وأنا أسف ولكن مالها نسب ألم تخبارك؟
قال كاذباً: «لن أهتم حتى وإن لم ترث فلساً فانياً أحبها».

ـ آه! صحيح ولكن هل تحبك هي؟ لا أستطيع إلا أن أذكر
بصراخها.

ـ كانت خاتمة.

ـ أما كان صراخها كفيلة بتغيير نصرفك؟

عاد التوتر يتفاقم مرة أخرى، فماستركت إيف ذراع غارث.

ـ أنا مستعدة لسامحة هوك، فلماذا لا تسامحه أنت؟

تنفلق وجه غارث احتقاراً: «وهل أربت على ظهره بحنان لأنه
حاول الاعتداء عليك؟».

صاحت: «توقف عن هذا غارث.. ودعه يذهب».

سألها هوك بخيبة أمل مريرة: «الآتريديستي إيف؟»

ـ أرجوك سامحي هوك، فانا لا أعرف ماذا أريد.

قال غارث بخشونة: «بل تعرفي، يا لك من يلهاء لقد حاول
اغتصابك!».

ردت بشراسة ووجهها محترق خجلاً:

رفع غارث حاجبيه السوداين:

وكانت امرأة سخيفة كمزحونه . صحيح أنت ورثت عنها جمالها ،
 لكنك لم ترثي أخلاقها . ففيك دم ماسترز ولديك عقل ماسترز
 كذلك
 رفعت رأسها : «لماذا تعتبرني اذن حمناء؟»
 لأنك تتصرفين كحمنة .
 استشرت عيناه الياقوتستان على شعرها ، ثم على وجهها ، وبعد ذلك
 حطنا على الكومبيوتر . ثابع :
 على من أضيع اللوم عليك أم على آخر أصدقائك؟ لماذا لا تغرين
 عن وجهي لترندي ملابسك؟
 سألت وتوردها واضح : «أتريد حقاً اصطحابي إلى العشاء». .
 ستنطلب مني جارتك مارتا الوفاء بهذا .
 إنها لطيفة .
 وأنا أراهن أنها تظنك تمضين وقتاً طيباً .
 تأثرت إيف بسخرته وردت : «هل أتيت لتصحبني إلى الوايت
 هالند؟»
 قال غارث بحرز .
 لا تستندني . فهو المكان الوحيد الذي تتصرفين فيه بتعقل .

- حقاً؟ أنت يا طفلتي هي المجنونة . أنت تعيشين في عالم أحلام
 لا وجود للتعقيد فيه أبداً . النباتات الجميلات يفعلن ما يسعهن لإثارة
 الرجل . ثم يصرخن يا للمجرم اللعين! .. طبعاً أنا وأنت ، نعرف طيبة
 قلبك . لكن كيف لانهزاري حبير مثل ريفر أن يعرف؟ تستقبلين في
 نوب غفر ، وتنوقين منه الجلوس مكتوف اليدين كراهب .
 مررت إيف يدها في شعرها الأشقر الذهبي :
 - لم يكن صعب المراس من قبل .. ما خططي غارث .. هل أنا
 باردة جنسياً؟
 حل ربطه عنقه باضطراب وفتح يافة قميصه : «لماذا أفهم من
 كلامك؟» .
 سألت مجدداً : «ما الخطأ في جسدي؟ لماذا لا أستجيب؟» .
 سالها ساخراً : «حبسي الصغيرة .. أ يجب أن تتجاوبي؟» .
 توسلت : «ردد على غارث فأنا فلقة» .
 بدا عليه التوتر الشديد وأجاب متوجهماً :
 - عندما تلتقين بالرجل المناسب فستتجاوبي معه .
 - أنا في العشرين .
 استدار إليها متخفراً فافتقدت .
 - وإن يكن؟ لا تخافي لن تموتي عائساً عجوزاً .
 توسلت :
 - لا تقضي مني غارث .. أراك في الآونة الأخيرة غاضباً مني
 دائمًا .

- تعرفين السبب .. لقد ستمت ما تفعليه بحياتك فما أنت بنسخة
 مطابقة عن راكيل .
 قالت بحزن :
 - لا يمكن أن أكون .. فراكيل امرأة عاطفة .

٢ - المرأة هي المرأة

كانا يطيران على ارتفاع شاهق فوق الريف الثاني حين قال لها
غارث إن الطائرة ستحط في «كامبلا».

- وكم ستبقي فيها؟

- ساعة أو ساعتين على الأكثر، ستقام سوق الماشية والروديو
الستوي في حزيران، وكایلوم من أعضاء مجلس الإدارة.

- أعتقد أن العزيزة فيكي ستدفع جميع السيدات للمشاركة
بالسابق.

لم ينظر غارث إليها: «طبعاً فنيكي فارسة متفرقة».

لم تستطع إيف كبح ما يشهي الغيرة: «هكلا هي فعلاً».

لم تفهم سبب غيرتها هذه ولكن الواقع أنها تغار... فغارث
معجب جداً بفكتوريا...»

سالت: «ما رأيك لو تركتني أحرب حظي هذه المرأة».

- ستحطين عظامك الرقيقة.

- وماذا عن سباق البراميل؟ فأنا بارعة في هذا!

- الشيء الوحيد الذي تبرعني فيه حقاً، هو إضافة لمسة سحر.

- رباه! أنت غير لطيف!

ركبت نظرها على لوحة عدادات طائرة (الابروستار)... إنها
رحلتها الأولى في طائرة غارث الرائعة الجديدة ذات المقعددين.

سمعته يقول: «أنا آسف... هل تركتك بحاجة إلى المال؟»
ردت بعنف: «لا تقلل فلن أبيت عالة عليك حتى آخر العمر»
ـ فناء عائلة... فأنـت مدـيـة لـنـشـك بالـانـطـلـاق إـلـى الدـنـيـا وبالـقـيـام بـهـا
ـ هوـمـيـدـهـ».

صرـتـ عـلـىـ أـسـانـهـاـ: «ـخـتـرـبـرـ».

ـ لأنـيـ قـلـتـ إـنـكـ تـخـافـنـ العـمـلـ؟

ـ ثـقـيـهـ عـبـاـهـاـ الزـمـرـدـيـانـ: «ـلـتـ خـائـفـهـ نـيـالـأـمـسـ أـجـرـتـ مـتـابـلـيـنـ

ـ مـنـ أـجـلـ العـمـلـ».

ـ رـنـاـ إـلـيـهـ بـطـرـفـ عـبـهـ يـاسـتـخـافـ: «ـوـهـلـ كـانـتـ نـاجـحـتـيـنـ؟»

ـ لـمـ نـكـنـ أـيـ مـهـمـاـ مـاـ أـرـيدـهـ».

ـ رـدـ سـاخـرـاـ: «ـأـرـاهـنـ عـلـىـ ذـلـكـ،ـ فـعـاـنـ وـظـيـفـةـ تـبـدـأـ فـيـ السـاعـةـ

ـ الـعاـشرـةـ،ـ أـوـ تـسـمـعـ بـفـرـصـةـ غـدـاءـ مـدـدـةـ ثـلـاثـ سـاعـاتـ».

ـ هـاـ قـدـ عـدـنـاـ مـجـدـاـ...ـ الـبقاءـ معـكـ كالـبـلـقاءـ فـيـ أـرـضـ مـعـرـكـةـ».

ـ يـاـ لـكـ مـنـ مـخـلـوقـ حـسـاسـةـ!ـ

ـ لـمـ تـرـدـ إـيفـ بلـ جـلـتـ عـابـيـةـ بـصـمـتـ حـتـىـ حـلـقاـ فـوقـ مـرـتفـعـاتـ

ـ (ـكـامـبـلاـ)،ـ وـكـانـ غـارـثـ يـقـوـدـ الطـائـرـةـ الـجـدـيـدـةـ بـكـفـاءـةـ مـمـيـزـةـ»...ـ فـكـانـ أـنـ

ـ أـسـنـدـ رـأسـهـ إـلـىـ المـقـعـدـ،ـ يـانتـظـارـ هـبـوتـ الطـائـرـةـ.

ـ كـاتـتـ فـيـكـتـورـيـاـ بـالـانتـظـارـ...ـ سـرـاءـ،ـ طـوـيـلـةـ،ـ جـمـيـلـةـ تـرـنـدـيـ سـرـوـالـاـ

ـ كـاكـيـ اللـونـ،ـ وـقـمـصـاـ قـطـنـاـ حـفـيـضاـ»...ـ كـانـتـ تـلـوحـ بـشـاطـئـ مـذـ سـارـتـ

ـ الطـائـرـةـ عـلـىـ الصـدـرـ».

ـ قـالـتـ إـيفـ سـاخـرـاـ: «ـهـاـ هـيـ صـدـيقـتـكـ...»

ـ الـوقـتـ يـمـكـرـ عـلـىـ هـذـاـ».

ـ طـبعـاـ...ـ يـحـبـ أـنـ تـمـرـ خـمـسـ وـعـشـرـونـ سـنةـ!ـ

ـ بـحـاجـهـ الـحـبـ إـلـىـ وـقـتـ لـيـنـمـوـ...ـ فـالـدـخـولـ وـالـخـروـجـ مـنـ خـطـوبـهـ

ـ إـلـىـ أـخـرـيـ أـمـرـ بـصـيـنـيـ بـالـغـيـانـ».

قالت فيكتوريا بصوتها المؤثر غير العادي: «غارت»
ابسم لها: «مرحباً فيكي».
كانت ابسمة كسوة ولكنها جذبت اللون الوردي إلى وجه فيكي
المسكينة التي سارعت إلى القول: «إيف، ما الذي حملتك إلينا؟»
أدركت إيف العداء الخفي في عيني فيكتوريا السوداوية
الجميلتين... وأجابت بخيت: «لا أطير فرافق غارت»
لم يعجب هذا فيكي... فإيف تشكل خطراً واضحاً مع الوقت لأنها
لم تعد تلميذة، بل أثني ناضجة ويجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، مع
ذلك ردت فيكتوريا:

- تدين مذهلة... تسيئ أمك أكثر مما مضى
كان على هذه المرأة... نظر الغاب راكيل المفاجئ: أن تدعي بعض
التعاطف ولكن وقت الغداء تبين لها أن آل كرافورد لم يكونوا على علم
بما جرى لراكيل... وعندما عرفوا أمست كابلوم الطريف بدإيف الصغيرة
الشاحنة

- عزيزتي ما أشد أسلطي
نسمت المرأتان بكلمات الاسم مع أن نظراتهن لم تدل على
تجاجنهن بما حدث
قال غارت: «ترى جدتي أن تمكث إيف معنا فترة إنها مغمرة
بأيقتنا الثانية»

رد كاي (كابلوم) متودداً
- ومن ليس مغرماً بها! ستكونين معنا بدون شك في سوق الماشية
الستري
بداً واضحاً أن غامدة سوداء قد هبطت على زوجة كرافورد
وابتها... فسارعت إيف الطيبة القلب إلى إخراجهن من بوسهنهن
ـ لكنه ما زال بعيداً، فلن يجري قبل ستة أيام

زاد ما ينزله من عزلتها... عندما أصبحت فيكي على مشربة منها
اللتنة هادئة على إيف ولتعوض إيف عن ذلك ابنت بحرارة
كله أنها سترت منه وتلذت الف دنان... ولكن الأهم من ذلك
عندما توقفت المحرّكات التّربية ساد صمت مطرّق قطعه غارت
باختصار: «تعالي». تعرّت في تلك حزام الأمان فراحـت تلعن الرجال الذين يطالعون
بالسرعة... وقالـت:

- آه! لـيت العـنـاف يصـبـيكـ!

كـانـتـ تـعـسـ بالـرـضـيـ لأنـهاـ الشـخـصـ الـوحـيدـ الـذـيـ يـجـرـوـ عـلـىـ قـوـلـ

هـذـاـ لـهـ . . .

قالـ فـجـأـةـ: «أـمـاـ كـانـ يـامـكـانـكـ اـرـتـدـاءـ مـاـ هـوـ أـقـلـ أـنـاقـةـ؟»

نظرـتـ إـلـىـ نـفـسـهاـ مـذـهـولةـ «وـمـاـ الصـبـرـ فـيـ توـميـ؟»

- يـجـبـ أـنـ تـعـتـرـفـ بـأـنـ فـصـيـرـ جـداـ.

- هـاهـاـ . . . مـنـ مـاـ الـخـيـرـ بـالـعـالـمـ؟

كانـ توـميـ رـائـعاـ، مـؤـلـقاـ مـنـ نـورـةـ مـنـ الـكـرـيـبـ دـوـشـينـ، وـمـنـ بـلـوزـةـ

يـاقـتهاـ عـالـيـةـ . . .

سـأـلـتـ بـخـيـتـ: «أـتـسـأـلـ، هـلـ الـمـتـرـفـ عـلـىـ الـعـمـالـ مـوـجـودـ هـنـاـ؟»

- أـلـهـذاـ اـرـتـدـيـتـ هـذـاـ التـوبـ؟

كانـ يـفـتحـ لـهـ الـبـابـ الـجـارـ الـكـبـيرـ الـذـيـ يـفـضـيـ إـلـىـ درـجـ صـغـيرـ

يـلـامـسـ الـأـرـضـ . . . نـظـرـتـ إـيفـ إـلـيـ بـعـيـنـ نـصـفـ مـعـمـضـتـينـ، فـاتـتـينـ

- إـنـهـ يـعـدـنـيـ . . .

كـشـرـ غـارـتـ وـجـهـهـ بـسـبـبـ غـلـاءـ الـمـشـرـفـ عـلـىـ الـعـلـمـ فـيـ كـانـيـمـلاـ

- يـالـهـ مـنـ غـيـرـيـ!

نظر إليها غارت نظره ثيর الرعدة: «أخذت نفسك راجعة غداً؟»

قالت السيدة كرافورد: «ربما تزيد العودة إلى خطيبها».

إنها وايتها فلتنان لحبة واحدة، ولكن غارت سارع يقول بسخرية حادة:

ـ لا نقلقي... فليس عندها خطيب.

فغرت فيكي ذاها وصاحت: «ليس مجدداً».

قالت إيف يشوه: «إن إحدى هوايات غارت هي التخلص من خطافي».

وتفهنه كاي العملاق الأسر، ضحكه راءدة.

ـ أستغرب لأنك لم تسيّر له حتى الآن انهياراً عصبياً!

ـ على الإنسان أن يحسن التفكير أولًا حتى يصاب بانهيار.

بدأ الخبث في عيني كاي الزرقاوين: «أنتظرين أنه لا يفكر فيك؟»

ـ لم يفكر في على نحو جيد منذ سنوات.

قررت السيدة كرافورد أن إيف تتلقى الكثير من الاهتمام، فسأك غارت باتسامة مشرقة.

ـ ما رأيك بفتحان شاي؟ ؟ ثم دع فيكي تريك التحسينات التي أجريناها في المكان... إنها تهتم جداً برأيك.

سألت إيف وفي صوتها لمسة شيطانية: «أين ميع؟»

حضرها كاي: «اتركي ميع وشأنه إذ يكاد يتغلب على جبه لك».

ـ أردت أن ألقى عليه التحية فقط.

ابتسم كاي:

ـ حسناً أيتها المهووسة الصغيرة فيما يقوم غارت بجولة مع فيكي أقوم أنا بمرافقتك لرؤيه ميع، ولكن اعلمي أن الغبار سبلونك.

نظرت السيدة كرافورد إلى زوجها لتنعمه من تشجيع الفتاة، متذكرة أنه يشجعها دوماً: «ستحسن أن تبقى برفقتي».

ردت إيف ببراءة:
ـ لا بأس في هذا سيدة كرافورد... فلت مصادبة يداء الربو، لأنضاق من الغبار.

فكرت السيدة كرافورد أن من المخرج أن يتحمل غارت مسؤولية هذه الفتاة المثيرة... فهي غير عادمة الجمال، وأكثر دهاء من أمها... خرج غارت مع فيكي ياسجمام ثام أما هي وكابلوم فانطلقا بالسيارة نحو الاستطيلات.

سألها كاي: «ما رأيك؟ هل سيفقان؟»
ردت بعد تفكير:

ـ أجل... في النهاية... أعني أن لديهما قواسم كثيرة مشتركة.
ـ يا ابتي الحبيب، وماذا عن الحب؟ يا إلهي، نحن لا نتكلم عن أمور المزرعة... فالرجل لا يتزوج المرأة لأنها بارعة في سوق الماشي!

ـ أعطتني إيف رأيها بدون موافرة:
ـ يصعب على غارت الاعتراف بحاجته إلى امرأة... أنت تعلم أن النساء يلاحقنه منذ سنوات... وهو الآن في الرابعة والثلاثين، ولم يترى شيئاً بعد.

ـ أنتظريه يحب فيكتوري؟
ـ أثر فيها قلق كاي الأبوى:
ـ يجب أن يحبها إذ يشق معها أكثر مما يشق مع سواها.
ـ بدا كاي مطمئناً قليلاً:

ـ لو سألتني رأي، لقلت إن ابتي تواجه مشكلة. فأنا أحب غارت وأاحترمه، غير أنني لا آراء مقدماً على الزواج بها أبداً.
ـ لا تنفك مكتوف اليدين عاجزاً... أسلأه!
ـ أسلأه أنت!

يقطنها كايلوم على ما يبدو قادرة على طرح مثل هذا السؤال
المحرج.

- هل يزعجك عدم زواجهما؟

تردد كاي ثم هز رأسه على مضض:

- أجل.. أعتقد هذا.. فاتت تعرفين أنها فسخت خطوبتها من
ستيف شادوز وقد كانت قادرة على احتلال مزرعته «ويسبروك» إضافة
إلى مزرعتنا.. كانت الصدمة قوية على ستيف الذي لم يظهر حتى الآن
اهتمامًا بغيرها.. أنها هي من أقتحمتها بعلاقة غارت.. أعرف أنه لا
يحتاج إلى أملاك إضافية.. فلديه امبراطورية بناها بنفسه.. مثل جده
لكن فيكي لن تذهب إليه فقيرة.

- لاشيء معيب في مسألة «الدولة»

بدأت إيف تستسلم إلى لذة العودة إلى المساحات البرية
المفتوحة. كان يوماً صافياً في راح جسمها يتارجح في السيارة التي
كانت تجتاز الطريق التربة.. صاح سرب من طيور (الكونانو) في
السماء وكأنه يساط أبيض وظهرت على مرئي البصر أرض الأحلام
الواسعة التي ترعى فيها النطعان.. قالت حالمه وهي ترفع ذراعيها
التحليتين نحو السماء الزرقاء البراقة: «ما أروع هذا المنظر».

- لماذا تعيشين إذن في المدينة؟

ردت إيف: «أنا لا شيء هنا، فلا تدفعني إلى نسيان ذلك».

رد عليها متودداً: «بل أنت كل شيء، أنت الفرح الحقيقي».

- ما الطفلك؟

كيف يتزوج رجل لطيف مثله من امرأة قوية كثيرة الشكوى، أم
ترها أصبحت على هذا النحو عندما شعرت بالخطر يحدق بها فالسيدة
كرافورد تود لو تربط المتذليل حول خناق إيف هوظاً عن ربطه حول
شعرها.

لكن.. لماذا تطلق؟ ربما غارت مضطر لاصطحابها أو لإبعاد
بعض الأطفال عنها.. لكن ألم يلاحظ أحد أنه ينظر إليها نظره إلى مغفلة
جميلة؟ فكرت إيف بمحضها: تصوروا أن غارت ينظر إلى.. لا يمكنني
أن أتصور هذا.. فستقف العاطفة والخوف والقوى الكونية كلها ضد
ذلك.. إنها لن تقدر أبداً أبداً على التعامل مع رجل كغارت، فهي دونه
في الجاه والذكاء.

خرج كايلوم من الجيب قائلاً:

- من الأفضل أن يعرف حال أنت هنا.. فلغته تصبح ملؤنة إذا ما
ظن أن لا وجود للسبات حوله.

المساعد هال، شاب من أهلبلاد الأصليين، نظر حوله، ونظر
معه مبغ كذلك، ولاحظاً أن «الرئيس» ليس وحده.. فنزع قبعته يلوح
بها في الهواء بشدة ويصرخ:

- أليس هذه إيف الصغيرة؟

كانت تعرف أن عليها عدم تشجيعه ولكن طباعها الجميلة ووجهها
البشوش لم يعطيها الخيار، فرفعت يديها: «أميغ»
أخذ مبغ يبتسم وهو يتقدم نحوها: «رائعة، رائعة».

بعد الإسطبل عنها خمساً وعشرين قدماً ولكن مبغ اجتاز المسافة
في وقت قياسي.. فلابد هي أجمل فتاة رأها.. إنها طفلة جميلة،
ومرغوبة.

- ماذا تفعلين هنا؟

أرسلت لمسة يدها شارة كهربائية عبر بده القوية التحلية.. ومبغ
هذا شاب في العشرينات من عمره، طوبيل القامة مشوقها.

ردت إيف بصرارة: «في زيارة».

حاول مبغ أن يمازحها ساخرًا:

- لا يستطيع غارت الاستفداء عنك.

الماء الضخمة والأحاديد المحفورة على شكل بحيرات.. منطقة
كانيبللا خضراء بشكل عجيب.. ولم تكن إيف قادرة على الانتظار
حتى ترى الوابت هاند البهية المشرفة ذات المنظر الرائع البهي حيث
يرى المرء أميالاً من الأزاهير البرية. لا يستطيع أي إنسان نسبان ذاك
البهاء والمجد فوق صحراء رمالها حمراء كالدم.

جلسا تحت ظل الشجرة التي يدعوها السكان الأصليون
(المباريشي)، نظر كاي بعطف إلى الشابين الجالسين تحت
الشجرة.. ميان شاب طيب، ولكن عليه الا يهتم لأمر الآلة إيف
ذكي متأكد أن لغارث خططاً معينة بشأنها.
كانا يتبادلان الأخاديد بسرور عندما أصبح غارت وفِيكُوريَا
قويهما.

هبَ مبغ واقفاً على قدميه، يمد يده إلى إيف ليساعدها على
الوقوف:

- مرحباً سيد ماسترز.
ابتسم غارت الذي يتحرك كفهد أسود وشيق:
- مرحباً مبغ.. ماذا لديك اليوم؟
- لم يبق عندي عمل كثير.. لقد أوصلت القطعان إلى المنطقة
الجبلية.

قالت فيكُوريَا بحدة: «هل ستبقى يا مبغ طوال النهار متকاسلاً؟»
لكن مبغ كان صبوراً مع عجرفة ابنه الرئيس.
- لا تخافي، أنا أقوم بعملي على أتم وجه يا فيكُوريَا.
قالت إيف وهي تشير إلى العجاد البرية القابعة في الأسطبل.
- أنتظن أن العجاد تذكر طعم الشكل عندما تتذوق للمرة الأولى؟
كانت قد قررت منذ زمن طوبل أن تتجاهل فيكُوريَا عندما ترفس.
ابسم مبغ ببرد عليها:

- دعك من غارت.. الجدة ماسترز هي من تزيد روبيتي.. لقد
ماتت والدتي مبغ.

ارتدى مبغ بعنف من هول المفاجأة: « صحيح؟ »
- قتلت في حادثة سيارة.

- يا إلهي! أنا آسف على ما أصابك يا حلوي.. كانت والدتك سيدة
جميلة.

أجل.. هكذا كانت.
ترقرقت الدموع في عيني إيف.. صحيح أن راكيل لم تكن الأم
المثالية ولكنها كانت تمتلك كياسة وجمالاً لا ينافس إليهما النساء.
القفت علينا مبغ اللوزيتان بعيوني إيف الزمردين المغورقين
بالدموع.. دفع جمال و أناقة قدها الرشيق نبع مبغ إلى النار
بعصف، وقال لها:

- حبيبي! أهناك ما أستطيع القيام به من أجلك؟
- يجب أن أدير أمري بمفردي، مبغ.. شكرأ لك.
سألها بقليل من العداء: «وماذا عن خطيبك؟»
- لقد رحل.. لم يكن غارت مهتماً له.
- ولم يكن مهتماً بمن سبقه.

مسحت دموعها: « صحيح، أطئني سابق بدون زواج بسبب
غارت».

قال بصدق: «لا تخجلي باهتمامي بك من أجل مصلحتك».

- ولماذا عليه أن يفعل ذلك بطريقة مؤلمة؟ على أي حال، دعنا من الحديث عنه.. أخبرني بما جرى معك؟

أسك ذراعها يقودها إلى ظل شجرة وارفة حمراء الأوراق..

الأمطار الموسمية الغزيرة التي ساقطة على المرتفعات غدت
الأنهار في كانيبللا، ففرقت السهول وامتلأت قنوات خزانات

- إنها كالدمى الصغيرة.

كانت الجياد في الحظيرة النائية تصخب وتصهل وتترفس في الهواء، فنظرت إليها إيف وقالت:
ـ يا لها من جياد مسكونة!

قالت فيكتوريا بندق:

ـ لا تكوني سخيفة.. على الجياد البرية أن تتعلم.

عبدت إيف وهي ترى الجياد البرية تتراجع وسلسلة قيد مربوطة من الحافر الأمامي الأيمن إلى الحافر الخلفي الأيسر، وتممت:
ـ من الأفضل إذن أأشاهدها على هذه الحال.

كانت جياداً قوية مخيفة ولكن أجسادها بدت تتنفس خوفاً.. إيف تحب الجياد، وتحب امتطاؤها ولكنها لم تستمع قط برأوة مواسم ترويضها، مع أنه إجراء ضروري لا غنى عنه.

وقال غارث: «حان وقت العودة».

ظهرت عيادة الأمل على وجه فيكتوري الأسمى:

ـ بهذه السرعة؟

قال غارث: «الجدة بانتظارنا».

ولم يكن باستطاعة فيكتوريا مناقشة أمر الجدة.. فقد أخذت جزءاً كبيراً من حياتها تحاول الفوز بحب السيدة العجوز التي تسمى بها في سرها (الستاربة العجوز).

بعد عشرين دقيقة كانت إيف إلى جانب غارث في الطائرة الصغيرة وكان كابيلوم وفيكتوريا واقفان يلوحان. أما إيف فراحت ترمي القبلات في الهواء إلى سبع.

قال غارث، وعيادة الزرقاوان تومنسان: وقحة!

ردت بعذوبة: «ما نفع المرأة إن لم تتصرف كامرأة». ووصلت الطائرة إلى نقطة الانطلاق.. واختار غارث درجة مناسبة

للتبران، وفتح القسامات.. فارتقت الطائرة وكانها عصافير تتجه مباشرة نحو عين الشمس الذهبية.

قالت إيف: «أريد أن أتلقي دروساً في الطيران».

رد غارث متوجهًا: «لا أتفق».

نظرت إلى جمال وجهه الرجولي.. ثم قالت:

ـ أنعلم أن جدتي على حق يشأنك.. أنت تفترط بالحماية.

ـ خاصة معك.. ومن أنت على أي حال؟ خمس أقدام وثلاثة إنشات من الرغب التافع.

ـ إياك أن تعبرني على هذا القدر من الغباء.

ـ لا يتلقى دروس الطيران إلا أبناء الآثاراء.

ـ إذن.. سأجد لنفسي رجالاً ثرياء.

هر كتبه: «أنتي أشفق عليه سلفاً».

ـ هذا رأيك أنت!.. نجيد فيكتوري بالطبع قيادة الطائرات.

ـ فيكتوريا قدرة على التعامل مع الآلات.

ـ أنا أرى فيكتوري شوكة في العين!

لورت ابتسامة ساخرة فمه:

ـ سأسد ذمي عن هذا الكلام.. لماذا تغارين منها؟

نوره وجه إيف الآليض:

ـ أغمار؟ ربما تذكرت علي بذكر سبب غيري من فيكتوري؟

قال بعذوبة: «أخبرك إن أردت ولكنك لا تريدين».

ـ ماذا تقصد؟

ـ لا شيء، ليتك تجدين الرجل المناسب قبل أن تدمري حياتك.

ابتسمت بمحنة: «إن وجدته فلن أعرضه عليك».

رد بعذوبة: «ولتكنك كنت تغنين أغنية أخرى ليلة أمس».

ـ لأنني لم أكن أعرف أنه يخطط لإغواني!

- لا يأس.. كنت أشعر بالتعاس ليس إلا.
 - بل غفت يا حبيبي.. ألم تكن الأمريكية مريحة؟
 - ما كان علي الاقتناع بالنوم عليها.
 - كنت مستعداً لشاركتي السرير طفولة صغيرة.
 أخذت إيف بالسخط مع أنه يمازحها، ففي غارث ما يحيرها
 ولأندرى ما هو.. قالت بصوت متساءل ضعيف:
 - لقد وصلنا إلى الوابت هاند!
 كانت عيناه كجواهرة زرقاء لامعة في وجهه الأسرّ:
 - إنها في الأفق.
 حدقت إيف إلى الأرض الواسعة.
 - ليت لي هدفاً في حياتي مثلك.. لا بد أن في الحياة أكثر من
 المرح والعنابة بالجمال.
 كانت نظراته قطعاً ساخرة: «أوافقك الرأي، أنت ابنة مارك وهذا
 يعني أنك قادرة على تدبر أمر نفسك».
 رفعت حاجبيها: «يا للغرابة! هذا ما كنت أفكّر فيه للتو».
 - وجدت المكان المناسب على الأقل.
 - لا أقصد أن ترعاني أنت..
 استدارت إليه بسرعة، غير أن وجهها تورّد أمام نظرته الممعنة
 الحادة.
 - أتريددين بداية جديدة؟
 - ساعديني غارث.. أجد صعوبة كبرى في محادثتك أو الاتصال
 بك.
 قال متعمداً: «أنتصدرين منذ أصبحت امرأة ناضجة.. لم أستطع
 أن أصمتكم وأنت طفلاً».
 - كنت رائعاً معي يومذاك بل كنت مميراً ولطيفاً.

- ولكنك من أعددت الجو المناسب..
 أدارت رأسها ناظراً إلى جناح الطائرة:
 - قولك هذا لا يغتفر لم أكن أعرف أن هوك.. مهوس إلى هذه
 درجة..
 ضحك غارث بقسوة..
 - ولذلك فتحت له الباب وأنت بالحرير الأخضر..
 - وما الضير في ذلك؟
 نظر إليها بسرعة، فعرف أنها جادة فيما يقول:
 - ألم تسمعي بشيء يقال له إغواء الرجل؟
 - لم يخطر هذا بيالي..
 - صدق؟!
 - أبداً فلست امرأة تحب أن تغوي الرجال غارث..
 نظرت إليه نظرة ألم.. فسارع يقول:
 - يا الله!.. لا.. أبداً.. ربما لم تقصدي ذلك..
 - تقاد سخريتك تقتلني!
 - أنا آسف..
 استرخت أكثر فأكثر في مقعدها وأغمضت عينيها.. يا الله! ما أشد
 لها! فهي لم تتم كثيرة ليلة أمس فقد أصرّ غارث بالآمس أن ينام في
 بريء، وأن نائم هي في الأمريكية لأنها أقصر منه.. صحيح أنها أمريكا
 حادة ولكنها وجدت صعوبة في النوم.. عندما كانت هناك مستلبة
 تتفكير لماذا يزعجها قربها منه إلى هذه الدرجة، لقد تعلّقت
 بيد من النساء بغارث لكنها من العائلة.. وهي فعلاً من العائلة؟ لقد
 لها أن تعرف حقائقه وضعها..
 حين تكلم غارث انقضت مذعورة: «ما.. ماذا؟»
 ضحك: «هل أبقيتك؟»

- إنها تخفي * التبور المتوجبة
 لا . لا نقل هذا غارث
 لم تتأ الشعور بالحزن يذكر المأسى التدمعة فالستكشرون
 والرواد الأوائل ماتوا هنا ولكن جمال الأرض الوحشي كان يربّل
 بالمجد والشرق .
 قالت إيف وهي تشير إلى النيل:
 لا أستطيع الانتظار حتى أسرج جواداً .
 رد غارث باتفاق: «ستنتظرين حتى أتمكن من مرافقتك .
 بدأت تعتذر عن آخر مغامرة سبعة قامت بها: «لم تكن
 غلطني . . .
 - ولن تكون أبداً .

امتد أمامها مدرج الطائرات كشريط حربيري ومن ورائه بدأ الأبية
 الملحة بالمزرعة . ثم بدا بيت الأجداد الشبيه بالقصور والقلالع
 الانكليزية .

تنهدت إيف: «ها قد وصلنا إلى الموطن .
 - تذكرني دوماً أنه موطنك .
 عندما لامست الطائرة الأرض بخفة الريش ، خفت إلبهما عمال
 المزرعة . كيرك نيلسون . وكيل غارث . وكونواي مراقب العمال
 وإيزاي بالفلوباك . موري العاسية . ودايفيد ماسترز عم غارث

علقت إيف: «يبدو أن الجميع بانتظارنا إلا كريستين .
 بذلك في ما مضى جهدها لتقبل كريستين ولكنها لم تفلح والسب
 طاع كريستين المثبتة ووقوعها بغرام غارث بشكل مثير للشفقة وهذا ما
 وجدته إيف أمراً شائناً . وتنظر أن الجدة ترى رأيها أيضاً كريستين
 جميلة ولها ابنة اسمها آني في الرابعة من عمرها والصغريرة تنتشر
 بالمقارنة مع أفراد عائلة ماسترز إلى الذكاء وقد قرر الجميع أنها متخلفة

- وكانت أنت طفلة ساحرة . وكانت أعلم عليك آملاً كبيرة .
 تحركت بطريقة مشاكسة رغم علمها بأنه يمارضها .
 - آه ! أخرس !
 لم تكن قادرة على إيجاد كلمات تفي بما يعنيه غارث لها . كانت
 تشناق إلى لطفه ولكنه يستخدم ثقوقه عليها ليجرحها .
 - لماذا يحدث أن من نهتم بأمرهم ينسون اللطف معنا حالماً كبيراً ?
 التوى ثغره الجميل بابتسامة: «أتقصدين أنك تهتمين بي ؟»
 - كم أريد أن أهتم بك . أظنتني أعبدك حقاً .
 - لهذا تبدل الخطاب دائماً ?
 إنها تستحق سخرية هذه .
 بدأت تحطط الطائرة فجلست إيف تلتقط أنفاسها ، وشعرت
 بالانتعال القديم فهي كلما نزلت على هذه الأرض شعرت بالتشاطط
 والفرح وبالانتماء وهي تزرو السبب إلى أيام طفولتها المبكرة . نظرت
 إلى ما يحيط بها تحت بصر وشوق ، فها هي البحيرة التي طالما سبحت
 فيها وهذا هو المكان الساحر الذي يخيمون فيه غالباً وتلك الهضبة
 الشرفة على مزرعة الوابت هاند التي يطوف فوقها التسور والصقر
 والعقبان .
 ما أروع رؤية الوابت هاند من الجو .

صاحت:
 - كم أحب رؤيتها هكذا ! إنها ليست أقل من معجزة !
 - إنها رائعة في كل الأوقات . لقد طلب مني ستان بارني ، عالم
 البناء ، السماح له بالإقامة هنا بضعة أيام . لينتظم لها الصور .
 - ما يجذبه هو سحرها الذي لا يصدق . يستحيل أن يبتت هذا
 الجمال كله في رمال قاحلة . انظر إلى الزهور اللولوية البيضاء التي
 تكاد تعمي البصر . عندما يرى المرء هذه الأموال التي لا نهاية لها .

عقلها نوعاً ما. وكان ذلك ضربة قوية لأمها كريستين التي أرادت
بائنة أن تنجو صبياً وسيدة ذكياً نشيطاً ليحتل مركزاً فرياً من
العرش.

• • •

٣ - أخاف من لمساتك

عندما شاهدت إيف الجدة ماسترز، أجهشت بالبكاء. فرمت
السيدة العجوز على ظهرها بغلظ: «أهلاً بك في بيتك يا صغيرتي».
إنها سيدة مختلفة كل الاختلاف عن السيدة الباردة المخيفة التي
يقطنها الجميع: «إنتي حمقاء حتى أيمكنني هكذا».
كانت الجدة قد ياماً طويلاً أما الان وهي في الثمانين من عمرها
فكان طولها يقارب طول إيف القصيرة القامة.
قالت الجدة: «لا أدرى، يعجبني هذا».
الفتت إيف لدى ساعتها حركة: «كريستين».
خفق قلبها لمواجهة نظره كريستين العمبلة. عجب أمر هذه المرأة
فمعظم الناس يحاولون إظهار المحنة، ولو باسم الأخلاق الحميدة، أما
كريستين فلم تكن تزعج نفسها إلا مع الجدة.
سألت بدون ود، ويدون طلب الرد: «كيف حالك إيف؟»
نظرت إيف حول المرأة: «أين صديقتي الصغيرة؟ أحضرت لها
 شيئاً».

ردت كريستين بشدة: «لا أدرى إن كنت ستربيها اليوم. لقد
غضت الآنسة بورتون هذا الصباح، ثم أخذت تصرخ حتى يُبح صوتها».
هزت الجدة رأسها الأبيض بعجز: «باللصغيرة السكينة».
صرت كريستين على أسنانها الصغيرة البيضاء: «إنها مصيبة».

متعديات لـ Zaloo

فكرت إيف: بل هي سجينة نفسها... إنها واثقة بأن أباً ذكر ما يعتقد الجميع... ففي عينيها نوع من الإدراك، حتى وإن كانت لا تتجاوز. عندما أخذوها إلى الأطباء ليعاينوها أجمع الأطباء على أن لا عيب فيها ولكنها ظلت تتقلب من حالة إلى أخرى.

غير وجه كريستين الغريب التحيل فجأة، فالتفت إيف. كان غارث يدخل من الباب الأمامي الذي يشبه باب القلعة حاملاً حقائب إيف... وفكت في نفسها: يا إلهي!... إنها تعجب!

سألت كريستين: «أكانت رحلتك موقعة غارت؟»
هز رأسه باختصار: «نعم، لا بأسبابها».

وضع الحقائب أمام الدرج الضخم ذي الاتجاهين، وتقدم نحو الجدة، التي رفعت له خدها ليقبله... فطبع قبله وقال بطفق:
ـ مرحباً... الآن أحضرت لك إيف، فأرجو أن تمنحني قليلاً من الراحة.

ـ شكراً لك حبيبي... أنا أحاول الاستفادة بمقدار ما أستطيع من قواك الرائعة.

وقفت كريستين جامدة، غرّب عرض المحبة هذا: الرجل والجوز، والفتاة الشابة... ثم قالت بصوتها الخفيف:

ـ يا لك من فتاة محظوظة إيف!... فكري كم يكلف مجيء غارث إليك.

لم يرد عليها أحد، وضغطت الجدة على يد إيف وسألت:
ـ لماذا لم يراقبك خطيبك...؟

قال غارث بعذوبة: «أشخاصاً».

سألته كريستين: «هل أنت واثق أنك لم تطرده؟»
ـ هز كتفه العريضتين: «أسألي إيف».

قالت الجدة: «لم تغير أبداً، أليس كذلك؟ ولكنني لا أرى

الاستاء على وجه إيف...
سألت كريستين بوجه متجمهم: «إذن عدت غير مخطوبة؟»
ـ نعم.

لماذا توتر كل شيء كريستين؟
ـ أمر ملفت للنظر... لا شك في أن من الصعب إرضاءك... إلا توافقني الرأي غارث؟

في لهجتها ما كان يحدد رأيها بذلك إيف... ورد غارث عليها سخاً: «هي على الأقل تعجب بهم حتى ترد إليهم الخامن، أتريدن مرافقتنا، يا ذهبية الشعر؟»

التفت إيف إليه بسرعة: «هل تستمع لي بالخروج؟»
قالت كريستين بتحمّد:

ـ العرض مغرٍ بدون شك ولكن أليس عليك أن تبقى برفقة الجدة؟
رفعت الجدة قائمتها إلى الأهل: «لا، فأنا أريد القليلة لأكون شبيطة وقت العشاء ذهبي مع غارث إيف. سرني مجبيتك كثيراً».

قالت كريستين: «في هذه الحال، سأضم إليكما...»
أخذت إيف بما يدفعها إلى الصراح عليها، لا ولكن كريستين كانت قد وضعت قدمها على الدرج، لتؤكد قرارها معلنة: «ستفبدني النزهة».

تمتمت إيف حالما اختفت كريستين: «إذن... هذا ما يسوّي الأمر!»

تدخلت الجدة: «لاطفيها عزيزتي... فهي امرأة تمسّك
حاولت إيف طبلة الظهيرة تكيف نفسها مع طباع كريستين
السبعة... كان هناك خناجر وسهام ونظارات حادة، تظهر بوضوح أن كريستين غير مسروقة بعودة إيف إلى الوابت هاند.
ولكن كان هناك ما يعوض هذا كلّه، فقد شعرت ببروعة العودة إلى

أنا واثقة بأن غارث لم يشجع فيكتوريا.
 قالت إيف بإشفاق لا بخبث:
 - ولماذا الفلق؟ غارث قادر على إدارة حياته بنفسه.
 - عليه أن يتزوج يوماً ما... فالمرأة بحاجة إلى وريث.
 - ليس عليه إلا أن يتخذ القرار، فهو يعرف نساء عديدات.
 - لكنه لا يهتم بأمرأة محددة!
 ردت إيف بهدوء:
 - ربما تخدعني نفسك كريستين.. فإن كنت لا تحبين فيكتوريا
 فهذا لا يعني أن غارث لا يحبها.. وأعتقد أنها تناسبه من أوجه عدة..
 والمصالح المشتركة تجعل الناس سعداء..
 بدا على وجه كريستين التحيل الانزعاج والتوتر: «كيف
 تعرفين؟»
 - وما رأي العم دايد?
 - يقول إن علي الاهتمام بشؤوني الخاصة.
 - أقليت نصيحته ولتشن أمر فيكتوريا.. ماذا عنك؟ لقد خسرت
 الكثير من وزنك منذ رأيتني آخر مرة..
 - أنا لا أتبع حمية.. كنت دائمًا نحيلة.. ولكنني لم أنزوج من
 قبل.. وظلت الزواج أمراً وائلاً فإذا هو ليس كما تصورت.
 ما زالت نظراتها مركزة على غارث الذي كان يتحرك برشاقة بين
 رجاله..
 قالت إيف: «آسفه.. ربما أنت بحاجة إلى ما يشغل وقتك».
 - أنا أستطيع الخيل وأرسم، وأقود الطائرة ساعة أريد.
 التوت شفناها بتكتسيرة مرة، وأكملت:
 - ولكنني أعرف أنني غير فعالة هنا في الوابت هاتد..
 - أعرف أنها عالم للرجال، ولكنك تستطعين القيام بأمور كثيرة.

شهرة جواد برفقة أشخاص لوحتهم الشمس.. كان عمالي المزرعة
 رفعون أيديهم تحية لإيف وهؤلاء العمال بمعظمهم شاهدوها وهي
 تكبر منذ أن كانت ملائكة بريتا لوحتها الشمس وزادت من ذهبية شعرها
 حتى أصبحت امرأة شابة..
 ترجل غارث أمام حظائر الوشم ليتحدث إلى رئيس الرعاعة..
 فيما كانت هي وكريستين تراقبانه أثيرت الأخيرة نقول:
 - إذن.. لقد توافقنا في (كايسيلا)؟
 بدت عيناً إيف تحت إطار قبعتها العربية، حضراً وبن عمباً
 فاختنن: «أجل».
 ولم تضف كلمة أخرى، بل انتظرت كريستين لتابع الكلام:
 - لا أدرى ماذا يرى غارث فيكتوريا.. إنها دون المستوى..
 - أهذا رأيك؟
 - وماذا عن رأيك أنت؟
 - أراها في غاية الأنفة عندما تُعنِي بيابها..
 - ولكنها عادية.. أما حديثها فمحظوظ الماشية فقط..
 - بصراحة، أنا معجبة بخبرتها، إنها أشهر فارسة عرفتها.. ولا
 تنس أنها رباحت السنة الماضية السباق الكبير، أمام جميع الرجال..
 ردت بحدة: «إذن هي ذكية فهي كانت تتمن كل شيء حتى قبل أن
 طبع الوقوف».
 سألتها إيف بهدوء: «وما الذي تستعجبين فيه؟»
 - استغفالها نفسها من أجل غارث..
 رفعت إيف خصلة شعر عن عنقها: «أحقاً أنها تستغل نفسها؟»
 صاحت كريستين بصرارة:
 - بكل تأكيداً.. ولكنها تفتقر إلى الجاذبية التي قد تثير اهتمام
 غارث.. ولو سألتنيرأي لقلت إنها وأمها مخطستان في حساباتهما..

شاي من تلك الغلابة!
 دفعت إيف قبعتها إلى الخلف فوسمت على ظهرها:
 - لا تعرفين ماذَا سيفوتُك... إن لم يكن شيئاً فهو ممتع
 ردت كريستين بحجفاء: «أظنني عائدة... فالمرععة تشغل وقت
 غارث كلها».
 نظرت إيف إليها بتسوّة ولكنها لم تتبّه لأن نظرتها لم تفارق
 غارث.

وهاهنا تكمن المتابعة.

تناول الجميع العشاء، كالعادة، في غرفة الطعام الرسمية الواسعة
 الفتية باللوحات الرائعة، وبصور الأسلاف. ركزت إيف بصرها على
 لوحة المحترم اللورد لورنس دونكان ماسترز الذي بدا صارماً متوجهماً
 وسيماً، وشبهاً بغارث. كان قد جاء إلى أوستراليا بحثاً عن المغامرة
 والإثارة ومكث فيها ليوس أكبر أمبراطورية للmarshe.

احسست فجأة بالعلم دايبلدي يقول:

- ثمة طريقة وحيدة لتعلم المرء... وهي أصعب طريقة.
 دايبلدي ماسترز، الرجل الطيب الوقور، ما كان ليقدر على إدارة
 الوابت هاند رغم كل الجهود التي قد يبذلها. فإذا رأيتها تتطلب رجلاً
 قاسياً صليباً، رجلاً يستطيع الحصول بدون جهد على الاحترام
 والاهتمام. العم دايبلدي وجل رائع، لكنه لا يملك كل الصفات.
 يدا على غارث القلق في رده:

- أعطه الوقت، سيدع نفسه مكاناً... في الغد ستذهب إلى التلال
 لنجلب الماشية الشاردة... أريد أن ينتهي العمل بالوشم.
 قالت الجدة: «حسناً إيف، بم تشعرين بعد عودتك إلى الديار؟»
 قالت بهدوء وعدوية: «أشعر بأنني لم أبتعد يوماً، إن كنت
 ستخرج في الغد غارث... فسأراقبك».

مثلاً استثنى مهام الجدة... أعرف أنها رائعة، ولكنها الآن مجرد ظل
 لما كانت عليه.

ضحكـت كريستين
 - ما أشد سروري لأنني لم أشاهدها في ربيع أيامها! حين أحضرني
 دايبلـدي إلى المنزل شعرت بالخوف منها وفي الحقيقة ما زلت أهابها.

نظرت إيف إلى كنة الجدة:
 - لكنـها طفل الناس وأشدـهم تواعـساً!

- وهي إلى ذلك صارمة قاسية!
 صاحت إيف صبيحة أجملـت الجواد اللطيف:

- لا! فخلف حزماً وقوتها يوجد أطيب قلب في العالم... إنها
 الوحيدة التي تخصص لي دائماً بعض الوقت. جدتي هي من تراسـني
 دائماً... وجدـتي هي من دعـتني إلى هنا.

قالـت كريـستـين بـسـخرـية: «إذن أنت مدـلتـها الصـغـيرـةـ، فـهيـ
 تـخـرـجـ دائـماًـ مـنـ الأـوضـاعـ السـخـيـقةـ الـتـيـ تـقـعـنـ فـيـهاـ».

- حـسـناً... أـحـمـدـ اللهـ عـلـىـ وـجـودـ الـجـدـاتـ فـيـ الـعـالـمـ!
 كانـ أحدـ العـمـالـ يـضـعـ غـلـابةـ مـاءـ عـلـىـ النـارـ... وـكـانـ تـحـمـيـ بـشـرـتهـ
 الشـفـراءـ قـبـعةـ عـرـيـضـةـ بـالـيـةـ، تـنـطـلـعـ إـلـىـ الـخـلـفـ نحوـ السـيـدـيـنـ الـجـالـسـينـ
 بـهـدوـءـ فـوقـ صـفـهـةـ جـوـاديـهـماـ، ثـمـ قـالـ شـيـئـاـ لـصـيـيـ أـسـمـرـ فـزـ بـرـشـافـةـ
 نـحـوهـماـ... وـوـقـتـ بـلـوحـ يـشـعـرـهـ الطـوـيلـ الـأـسـدـ:

- أنا بـيـتـيـ فـريـديـ آـسـهـ.
 أـشـاحـتـ كـريـستـينـ بـوجـهـهاـ عـنـهـ، أـمـاـ إـيفـ فـهـزـتـ رـأسـهـ.

- لـيـتـكـ جـشتـ تـدـعـونـاـ إـلـىـ فـنـجـانـ شـايـ؟
 ضـحـكـتـ بـيـتـيـ: «طـبـعاـ آـسـهـ».

حـركـتـ إـيفـ جـوـادـهـ وـقـالـتـ لـكـريـستـينـ: «أـنـرـاقـيـتـيـ؟»
 - لا... شـكـراـ لـكـ! عـلـىـ الـمـرـءـ أـنـ يـكـونـ مـيـاـ مـنـ العـطـشـ لـبـرـبـ

الجواد، ولكنها في تلك الأيام، كانت تميل إلى التهور.
فيما بعد، تحرك العم دايدن عن مقعده الأبيض الوثير، ومد يده
إلى زوجته:
- الليلة جميلة.. فلتقم بزهـة.

وافتـت كريستين بدون اهتمـام أو حـمـاسـة: «كـما تـريـدـ». كان العم دـاـيدـ يـتكلـمـ دائـمـاـ مع زـوـجـهـ التي تصـغـرـهـ بكـثـيرـ باـحـترـامـ، أـمـاـ هيـ فـلـمـ تـكـنـ تـبـذـلـ أـقـلـ جـهـدـ لـلـتـجـاـوبـ مـعـهـ بـالـمـثـلـ.. حدـقـتـ إـيـفـ إـلـيـهـمـاـ وـهـمـاـ يـمـتـعـدـانـ.

- يا لهاـ منـ زـوـجـينـ غـرـبـيـنـ! ردـ غـارـثـ: «لاـ أـعـرـفـ ماـذـاـ يـرـىـ النـاسـ فـيـ الزـواـجـ».

جلـستـ إـيـفـ عـلـىـ سـوـرـ الشـرـفةـ، وـنـظـرـتـ إـلـىـ النـجـومـ:

- هلـ الـبـبـ فـارـقـ العـمـ؟

- ربماـ لـلـعـمـ عـلـاقـةـ.. لاـ تـزـعـجـيـ نـسـكـ بـالـأـمـ.

تـنـهـدـتـ تـنـهـيـةـ عـمـيقـةـ:

- العمـ دـاـيدـ دـرـجـ رـائـعـاـ وـمـاـذـاـ عـنـ المـسـكـيـةـ آـيـ؟

- لاـ أـدـرـيـ ماـ خـطـبـ أـنـيـاـ.. فـانـ لـمـ تـكـنـ تـصـرـخـ، فـهـيـ تـخـتـيـءـ.

أـفـتـهـاـ تـدـفعـ الـأـسـنـةـ بـوـرـتـونـ إـلـىـ الجـنـونـ.

- وـمـنـ وـظـفـهـاـ؟

- كـريـسـتـيـنـ.

- تـبـدوـ لـيـ اـمـرـأـ قـدـيرـةـ.. وـلـكـنـهاـ غـيـرـ دـافـتـةـ أـوـ وـدـودـةـ.

نهـضـ غـارـثـ مـنـ مـقـعـدـهـ وـنـقـمـ إـلـىـ حـيـثـ تـجـلـسـ إـيـفـ عـلـىـ سـوـرـ الشـرـفةـ، تـعـقـدـ ذـرـاعـهـ حـولـ عـمـودـ الثـقـتـ حـولـهـ دـالـيـةـ.

- أـمـيـ الـخـيـارـ الـخـاطـئـ، لـطـفـلـةـ؟

- لاـ يـسـمـعـ لـيـ وـقـتـيـ بـعـرـفـةـ أـحـوالـ أـنـيـاـ وـلـكـنـيـ أـشـعـرـ بـاـنـهـاـ تـحـاـولـ

أـنـ تـقـولـ لـيـ شـيـاءـ..

نظرـ إـلـيـهاـ عـبـرـ الطـاـوـلـةـ المـتـائـلـةـ: «لـدـيـ أـمـورـ كـثـيرـ أـقـومـ بـهـاـ بـدـلـ الـاعـتـاءـ بـكـ».

- لـكـنـيـ أـسـطـعـ الـذـهـابـ أـلـيـسـ كـذـلـكـ عـيـ دـاـيدـ؟

- غـارـثـ هوـ الرـئـيـسـ.. وـلـكـنـيـ أـعـتـقـدـ أـنـكـ قـادـرـ عـلـىـ الـعـنـاـيـةـ بـنـسـكـ.

داـيدـ فـيـ الـخـمـسـينـ وـلـكـهـ فـتـيـ وـنـحـيلـ..

سـأـلـتـهـاـ كـريـسـتـيـنـ بـعـدـاـ ظـاهـرـ: «لـمـاـذـاـ تـرـيـدـيـنـ الـذـهـابـ؟ـ سـتـرـكـيـنـ

الـجـوـادـ لـسـاعـاتـ وـأـمـيـالـ فـيـ هـذـاـ الـجـوـ الـحـارـ».

- لـأـنـيـ أـعـرـفـ هـذـهـ الـمـنـاطـقـ.

- إـنـهـاـ مـلـيـةـ بـالـأـشـواـكـ كـمـاـ أـنـ فـيـهـاـ مـاشـيـةـ مـوـحـشـةـ.

- إـذـنـ.. سـنـضـيـ وـقـارـانـاـ.

نـظـرـ غـارـثـ إـلـيـهاـ مـنـ فـوقـ أـنـفـهـ الـمـسـتـقـيمـ:

- لـاـ.. لـنـ تـخـرـجـ الـبـيـوـمـ وـلـكـنـ سـتـرـقـبـتـاـ فـيـ يـوـمـ آـخـرـ.

أـبـسـمـ لـهـاـ العمـ دـاـيدـ: «لـاـ جـدـوىـ مـنـ مـنـاقـشـةـ غـارـثـ حـبـيـتـيـ..

أـنـكـرـيـنـ أـنـكـ جـادـلـهـ فـيـ أـمـورـ كـثـيرـ عـلـىـمـاـ كـنـتـ فـيـ الـثـانـيـةـ عـشـرـ وـيـاءـتـ

جـمـيـعـهـاـ بـالـفـشـلـ؟ـ».

- فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ اـعـتـلـيـتـ صـهـوـةـ الـجـوـادـ كـثـيرـاـ.

قالـتـ كـريـسـتـيـنـ: «حـقـاـ إـيـفـ.. لـمـاـذـاـ الـاسـعـجـالـ؟ـ المـكـانـ وـعـرـ

جـدـأـ، وـامـتـنـاطـهـ الـخـيـلـ خـطـرـ عـلـىـ الـمـرـأـةـ».

قالـتـ الـجـدـةـ: «هـذـاـ صـحـيـعـ.. فـلـتـشـاـوـلـ الـفـهـوـةـ فـيـ غـرـفـةـ

الـجـلـوسـ.. سـتـقـوـمـ بـزـهـةـكـ إـيـفـ قـبـلـ أـنـ تـنـظـفـ الـبـلـالـ مـنـ الـحـيـوانـاتـ

الـشـارـدـةـ».

لـكـنـ إـيـفـ صـمـتـ: سـتـقـومـ بـرـحلـتـهاـ فـيـ الغـدـ.. تـسـطـعـ الـسـيـطـرـةـ

عـلـىـ الـكـسـتـائـيـ، وـهـيـ لـيـتـ غـيـرـ.. لـقـدـ مـضـتـ ثـلـاثـ سـنـواتـ مـنـذـ

سـقـطـتـ عـنـ ظـهـرـ الـجـوـادـ.. يـوـمـذاـكـ كـانـ غـارـثـ قـدـ حـذـرـهـ مـنـ ذـلـكـ

استنامت في جلستها ببرعة فكادت تفقد توازنها: «الم اذا
 أحضرتني إلى هنا إذن؟»
 أمسك بخصرها التحيل يشتتها: «التيبي»
 فجأة، راحا يتبدلان النظرات بشدة.. هو سبطر كل السطرة
 على نفسه، وهي تحس بحرارة الإثارة... ولكن ما زال كما هو...
 غارت... فلماذا هي مختلفة؟
 قالت بصوت أجهش منخفض: «أنا بخير».
 - غير أن جسده يتضخم كله.
 - كدت أتفع.
 ما تزال مأسورة بمنظرته، تتساءل بربع: «ماذا دهانى؟ طالما حملها
 غارت وضمها إليه ومازحها... إنه جزء من حياتها... مع ذلك أصبح
 كل شيء غريباً...
 اشتدت يديه حول خصرها ثم رفعهما قليلاً: «فيم تفكرين؟»
 يللت شفتيها الجميلتين بطرف لسانها:
 - إن أخبرتك فهل تضحك؟
 - سحربني.
 - أجد صعوبة أحياناً في معرفة إلى أي درجة أعتبرك من أفراد
 العائلة بالنسبة لي.
 - تقصدين أن عليك الآثر تجاهي عندما تكونين بين ذراعي؟
 همست، مذهولة بالاحاسيس الثائرة داخلها: «صحيح»
 - وماذا عن هذا الإحساس؟ فهو جيد أم سي؟
 ابتلعت ريقها بصعوبة لأنها تعرف أنه يسخر منها:
 - بل هو إحساس غريب.
 - حسناً... تعرفين ما يقال: معرفة ما في النفس أمر مؤلم.
 - أعتقد أنني لا أعرف الكثير عن الرجال!

نظر غارث إليها وعيناهنصف مغمضتين كعيتين القط:
 - أفلنك الوحيدة عدا العحة القادرة على الوصول إليها
 بالطبع... فما أنت بأكثر من طفلة.
 قالت بخفت: «لا يرباني بعضهم طفلة».
 - أتحاولين تذكيري بعادات الأمهـ البعـيـضـةـ؟
 رمشت بأهدابها التـقـيـلةـ: «لا أبداً».
 يشيرـهاـ غـارـثـ دائمـاًـ ويـغـيـظـهاـ...ـ إـنـهـ عـرـيـضـ الـمـكـبـينـ قـويـ الـبـيـةـ
 مـفـعـمـاـ بـالـجـيـوـيـةـ وـالـرـجـوـلـةـ...ـ وـهـذـاـ مـاـ قـدـ يـدـفـعـهـ إـلـىـ فـقـدـانـ الـمـعـنـىـ.
 قـالـتـ:ـ «ـأـنـاـ أـهـمـ لـأـمـ آـنـيـ...ـ وـأـنـسـنـ لـوـ أـسـاعـدـهـ».
 - على أنها أن تقدم المساعدة أولاً ولكتها لا تفعل شيئاً للطفولة.
 برقت علينا إيف الخضراء بالغضب: «أتومن تلك المرأة أن ابنتهـ
 متـخـلـفةـ عـقـلـياـ؟ـ».
 أـسـدـ يـدـيـهـ إـلـىـ السـورـ المـشـرـفـ عـلـىـ الـحـدـيـقـةـ:
 - أـنـاـ لـاـ أـقـرـنـ بـهـذـاـ...ـ إـنـهـ طـفـلـةـ غـرـيـبـةـ الـأـطـوـارـ وـبـارـدـةـ،ـ وـلـاـ
 تـجـاـوبـ.ـ وـلـكـنـ وـاـنـقـ أـنـهـ لـبـسـ ذـكـيـةـ قـلـقـلـةـ،ـ بـلـ لـامـعـةـ الـذـكـاءـ...ـ لـيـسـ
 لـدـيـ الـوقـتـ لـأـقـضـيـهـ مـعـهـاـ،ـ وـعـنـدـمـاـ أـعـوـدـ أـجـدهـاـ فـيـ الـفـرـاشـ.
 قـالـتـ إـيفـ بـهـدـوـ:ـ «ـلـقـدـ كـلـمـتـيـ الـلـيـلـةـ قـاتـلـةـ لـىـ مـرـحـاـ».
 - يـاـ لـلـطـفـلـةـ الـمـسـكـيـنـةـ!ـ أـفـنـهـ مـرـبـكـةـ خـائـفـةـ...ـ لـاـ تـخـفـيـ كـرـيـشـنـ
 خـيـةـ أـمـهـاـ،ـ أـمـ دـاـيـدـ فـيـدـوـ خـائـفـاـ مـنـ طـفـلـهـ...ـ إـنـهـ وـرـطـةـ كـبـيرـةـ.
 أـسـدـتـ إـيفـ رـأـسـهـ عـلـىـ الـعـمـودـ،ـ فـاخـذـتـ زـهـرـةـ بـوـقـ تـدـاعـبـ
 خـدـهـ...ـ وـقـالـتـ مـتـوـسـلـةـ:ـ «ـاسـمـعـ لـىـ بـعـرـافـتـكـمـ غـداـ».
 قالـ بـلـطـفـ:ـ «ـأـتـعـرـفـنـ أـنـ الرـدـ لـاـ».
 وـيـخـتـ عـيـنـاهـ الـخـضـرـاءـ:ـ «ـمـاـ كـنـتـ لـتـقـولـ لـاـ»ـ لـفـيـكـتـورـيـاـ».
 - أـنـتـ لـسـ قـارـسـةـ مـثـلـهـ...ـ وـلـيـسـ لـدـيـ الـوقـتـ لـتـعـرـفـاتـكـ الـفـرـيـةـ
 هـذـهـ الـمـرـةـ.

- مع أنت انخطب مرتين .

أغمضت عينيها لثلا يرى بؤسها :

- أنا أحب أن أقول بكل شيء حسب الأصول .. دعني أذهب غارث.

- لماذا؟ أنت تتجهين كل الانسجام مع يدي .

همت : «يداك قويتان وأنا خائفة من لمحتهما»

- يا الله !

اشتدت عضلات فكه .. ثم شعرت في لحظات مذعورة أنها سيخطيان القواعد التي سادت بينهما طوال العمر ، ليصلا إلى وضع تستحيل العودة عنه .. ولكن ، سرعان ما تعالى صوت من الحديقة ، وأخذت كريستين ترتفق الدرج بحذاتها الأحمر العالي الكعبين ، تنظر إليهما بحقد :

- لن تحاولي العبث مع غارث ، إيف؟

رد غارث ببرود : «لبيت المرة الأولى التي تفعل ذلك فقد حاولت هذا منذ أن كانت في المهد» .

لحتت إيف بما ألمع إليه غارث ، بالرغم من سخطها :

- صحيح ! فاللعبة مرحلة مهمة في نمو الفتاة .

ردت كريستين ببرود :

- كنت طفلة متفوقة . ومن الجيد أن ينظر إليك غارث هكذا الآن .

سألتها إيف : «كيف؟»

- مسؤولة !

تدفق اللون الأحمر إلى وجه كريستين ، وتقدمت الجدة إلى الشرفة ، تحس بالعداء في وقفة زوجة ابنتها المغيرة :

- ماذا يجري؟ ماذا حدث؟

وضع غارث يده على كتف إيف :

- كنا نتحدث عن الأيام الماضية ..
قالت الجدة : «كانت أيام طيبة كم ضحكنا فيها».
ووقفت كريستين لحظة نظر إليهم ، ثم استدارت إلى الأبواب
العربيضة قائلة : «اعذروني سأوي إلى فراشي» .
سألتها الجدة : «الم بيرافنك دايبلد؟»
هزت كريستين رأسها الأسود بارتباك :
- لقد ذهب إلى الأسطبل ليتعلم عن شيء ما .. أظنه أحياناً
يفضل الجياد .

قالت الجدة بصوت لطيف : «لا تكوني سخيفة ، عزيزتي» .
ردت كريستين متوترة : «أرجاء جدني ، عمن مسام» .
بعد ذهاب كريستين قالت الجدة باسف : «لبت دايبلد بضاعف
اهتمامها بها» .

جلس غارث جدته فوق كرسى : «وماذا تتوقعين منه أن يفعل؟»
رفعت نظرها إليه بحدة :
- هل سبقتك إنه إن صححها في إجازة طولية؟
- سأقتله كثيراً .. ولكننا ستدير الأمر . إنما تعرفين أن دايبلد قد
لا يرغب في الذهاب؟

مدت الجدة يدها إلى إيف وكانتها تسعى للعزاء :
- هذا واجب عليه ! فسيفيدها الابتعاد . أرى كريستين في غاية
النعاسة .

قال غارث ببرود : «الدبها زوج وطفلة ولا تعاني من مشاكل مادية ،
لماذا النعاسة؟»

لكن الجدة لم تقنع بقوله :
- إنها في الأساس ابنة مدينة ! لقد شاهدت الصغيرة أتبنا الليلة
إيف .. هل أنت قادرة على العناية بها؟

رفعت إيف وجهها، كزهرة ناعمة في إطار من ذهب
- طبعاً جدتي أظنني أنهمها قبلًا.

بدت الجدة حزينة مبتعدة: «ترى إن أنها ليست مختلفة عقلياً، لقد
عرضناها على كل الأخصائيين».

علق غارت بمحنة: «إن سافر دايدل وكريستين فقد يعود ذلك
بالقائدة على الصغيرة لأنهما لا يقدمان أبداً المساعدة لابتهما».

قالت الجدة: «ولكنهما متضايقان من أجلها... فالامر ليس
سهلاً... لم أر قط فتاة لا تنجذب مثلها. ظنتها تعاني من انطواء نفسى
ولكنها ليست هكذا... أتذكر إيف وهي في العمر نفسه؟ كانت تضج
حياة وسعادة... ولكن الضشك مفقود في قاموس أبنتنا... قالت لي
الأنسة بورتون إنها أصبحت بالتوتّ منها».

قال غارت بخشونة: «أتفقد تلك المرأة أنها لا تريد البقاء».
لم نقل هذا...
لا أظن أنها المريضة المناسبة لأنينا.

هزت الجدة رأسها الأبيض المررت: «مع ذلك عجزت عن
معها كتب توصية عالية المستوى... مع ذلك عجزت عن

الوصول إلى أعماق الطفلة وهذا حالنا جميعاً ولا أفهم السبب...
أحست إيف بالألم وهي ترى الخطوط التي برزت على جاتي ثغر
السيدة العجوز... وقالت:

لا تقلقين جدتي أعتقد أنها سرت لرؤيتها اليوم
أسكت الجدة بوجه إيف نقلها:

- ولم لا؟ أنت جميلة كالملائكة...
قال غارت: «هذا صحيح، لن أسر إن نظرت وقتاً طويلاً إلى وجه
الأنسة بورتون».

استدار بسرعة عندما بَرَزَ عمه إلى دائرة الضوء في أسفل درج
٦٢

الحديثة:
- هل من خطب؟
رد دايدل بصوت لطيف عميق.
- لا أبداً... آن وقت النوم فستظلل باكرأ في الصباح.
نظر حوله فلاحظ غياب كريستين:
- أوت كريستين إلى فراشها؟
ردت الجدة، وقد تحول التعبير العازب على وجهها إلى حزم:
- أجل... أبق معن قليلاً دايدل... أريد أن أكلم...
بدأ و كان جسم دايدل الطويل قد تخلص:
- أمي إن كنت تربدين مني اصطحاب كريستين في رحلة، فلن
أشعر إن الأعمال كثيرة وأمامنا سوق الماشية الذي لا أريد أن يفوتني،
واعلمي أن السفر لن يحل أية مشكلة.
مد غارت يده إلى إيف التي ما زالت جالسة:
- هيا، ففي إيف...
نهضت إيف ودخلت معه إلى المنزل.
- تنصبحان على خير...
يتشل العم دايدل مشكلة... لكن لا يغمض عينه عن مشكلة
آخر؟ غارت تقipض عمه ومن السهل جداً الانجذاب إليه...
وكريستين، امرأة محظوظة نعية.

٤ - الحورية الباردة

ردت السيدة كوك مسازحة: «رويدك، لست قادرة على تلبية كل ما تطلبين» ولكنها في الواقع كانت مسروبة بوجود إيف هنا خاصة وأنها أول من سمع صراخها حين أطلقت على الدنيا.

قالت إيف بصوت جاد وهي تبعد صبيبة الفضة جانباً:

- أريد أن أسألك أمراً.

همست بصوت حاد مبحوح: «ليس عن الآلة بورتون الشريرة تلك».

النفت إيف بغلق إلى الباب: «الا تعجبك؟»

- لا تغلقي، فهو لا يأتي إلى هذه الغرفة في مثل هذه الساعة.. إنها لا تعجبني.. ولكنني لم أخبر رأي لأحد سواك، إنها كالدواء المر..

- لماذا؟

- إنها متوجهة وشرسة، لقد مضى على وجودها هنا ستة أشهر ولم أرها يوماً ضاحكة، إن لم تكلعيتها ظلت صامتة.. أعتقد أن من الغلط الجسيم بقاءها مع تلك الطفلة، لا أنكر أنها تستطيع التعامل معها في الأوقات التي لا تعاني منها الصغيرة من نوبات عصبية ولكنني أرى أن آنتي تزداد انطواء على نفسها.

قالت إيف: «طلبت مني جدتي قضاء بعض الأوقات معها.. وفدت كوك قرب الطاولة المستديرة تلوى بدبها..

- حسناً، افعلي هذا داتئماً فأشاهد تلك المرأة يسيرون الآلة!

نهدت تهديدية عميقة:

- ولا يدرو أن هناك نفساً الحالتها.. أعرف أنها ليست مختلفة.. بل هي عاطفية إذا ما حطم أحد جدران انطوانها.. كنت مرة في المطبخ أبحث عن خلبيط البهارات، فتقدمت إلى الخزانة ووجدتها لي... وله يعلم أن غرفتها تقع بالكتب.. وأعتقد أنها تجذب القراءة.. ولكن الآلة بورتون ترفض الفكرة وتتollow إنها بطينة الاستيعاب..

انطلق الرجال قبل طلوع الفجر.. كانت إيف في هذا الوقت مستيقظة ولكن بالطبع لم تستطع مرافقتهم فكان أن شعرت بالبلوؤس.. لكنها راغبة في مساعدة الجدة والصغيرة أنتي.. عندما راجعت التائج القديمة، لم تستطع التفاؤل كثيراً ولكنها كانت خائفة من الآلة بورتون، خائفة أن تخيبها، مع أنها لا تعرف لهذا سبباً.. لقد أعطت المرأة رغم عدم جاذبيتها نتائج مرضية في مراكز أخرى اشتغلت فيها.. فهل من العدل توقي الجمال إضافة إلى المؤهلات الضرورية؟ صحيح أنها لم تكون بشعة ولكن وجهها وطبعها أقل من الطيبة، في نظر إيف.. ولم يغب عن تفكيرها أنه كان يمكن لأنها الاستجابة لمصرية أكثر شباباً، وأجمل طلعة..

لم يكن في غرفة الطعام أحد وقت الفطور إلا كوك الطباخة..

- صباح الخير سيدة كوك!

حيماً تعرف إيف، لا أحد في الوايت هاند ينادي مدبرة المنزل سوى باسم الطباخة (كوك).. قالت السيدة كوك مبتسمة لاتعكاس صورة إيف على مرآة المطبخ الفيكتوري الطراز..

- صباح الخير آنتي، ماذا تريدين أن تأكلين..

- كالعادة.. فواكه، سيريل، مسحوق الحنطة، أما البيض المسلوق فلا أريده ثم أريد قهونك الرائعة وقطعتين من التوت..

قالت إيف بقلق:

- ما تحتاجه حقاً هو علاج نفسي... لأنها مخطوبة ذاتياً.

سرعان ما اتضحت أن الآنسة بورتون لن تستجيب بلطف لأي نوع من التدخل. قالت باقتضاب حينما عرفت إيف عن نفسها في غرفة الدرس:

- صباح الخير آنسة ماسترز. هل لي أن أدخل؟

أبعدت المربية يدها عن الباب: «طبعاً».

- جئت لأنني أتحمّل على أنيتا.

سألت إيف عن سبب عداية المربية... فهي تكره الشجار وكل ما هو غير لطيف.

قالت المربية: «أنيتا في إحدى ثوباتها المتوجهة المنظورة هذا الصباح... وقد اضطررت إلى حبسها».

- ماذا فعلت؟

شعرت بثورة غضب وسارعت المربية إلى القول:

- إن وعدتني بأن تكون فتاة طيبة، أخرجنها. لم تتع لـ الفرصة لشرح آخر خلاف وقع بينا آنسة ماسترز... ولكن ثقني بكلمتى... فأنيتا شريرة جداً جداً.

قاطعتها إيف: ليتك لا تقليين الباب عليها فما هذا التصرف بصائب.

- هذا جزء من تدريبيها. وهي تعرف أن العقاب بانتظارها إذا حطمته الأشياء.

دنت إيف من الباب الداخلي في غرفة الدرس:

- أهي هنا؟

- أطلب منك آنسة ماسترز لا تتدخل!

لكن مصلحة أنيتا هي الأهم... وليس غضب إيف المتصاعد... فقلت بلطف:

- صدقيني... لن أتدخل. لكني لا أراها كثيراً. ولا أحب أن أضيع الفرصة... هل لي أن أراها؟

- آنسة ماسترز أنت بذلك تهددين بشف سلطاتي.

- أبداً... أريد فقط رؤيتها... إنها طفلة في الرابعة من عمرها.

- إنها صعبة المراس بشكل رهيب...

- أنتا جميعاً تحاول مساعدتها؟ أنا لا أؤمن بوجوب حبسها في غرفتها لأن في ذلك ضرراً كبيراً على الطفلة.

نور ووجه الآنسة بورتون التبكي:

- هل أنت مؤهلة لتحكمي على مثل هذا؟

- درست علم النفس في الجامعة... وأعرف أن من المهم للطفل أن يحسن بحريته.

- والأهم لا تدع هذه الطفلة بالذات تضر في وقاحتها وتدمير أغراضها.

- وهل لطفل مختلف عقلياً أن يكون وقتاً؟

- آه، هيا الآن، قد يكونون في غاية المكر.

قالت إيف بهدوء:

- أنيتا غير ماكرة... فليست تفهميها أكثر، أعرف أن الأطفال يعتمدون كثيراً على تصرفات من هم أكبر سنًا، وعلى تعابير الوجه، ولهجـة الصوت... وربما كانـا جميعـاً أنـ تكونـا طـفـاءـ كـثـيـرـ صـبـوـرـينـ.

سألـتـ آنسـةـ بـورـتوـنـ بصـوتـ حـادـ رـفـيعـ:ـ «ـأـتـعـلـمـتـ كـيـفـ أـقـومـ بـعـلـمـ آنسـةـ مـاسـتـرـزـ؟ـ»

حاـوـلتـ الرـدـ بـلـطفـ:

- تـعـرـفـنـ أـنـيـ لـأـقـعـلـ هـذـاـ...ـ المـسـأـلـةـ أـنـيـ أـرـيدـ تـقـدـيمـ العـوـنـ.

قالـتـ المـرـءـ بـلـهـجـةـ الـمـتـصـرـفـينـ:ـ «ـسـتـاعـدـيـنـيـ إـذـاـ مـاـ تـرـكـتـيـ أـتـابـعـ عـلـيـ،ـ فـعـنـدـيـ الـمـؤـهـلـاتـ الـفـرـرـوـرـيـةـ وـالـتـدـرـيـبـ الـلـازـمـ وـالـأـهـمـ مـنـ هـذـاـ»

فحسب بل هي بطيئة الاستيعاب . . وفي بعض الأحيان أشك في أنها غير عادية . . وهذا ما يثيرني . أعني أنني جميلة وأفراد عائلتي يتمتعون بالجمال، ودايدهن وسم ولكن انتظري إليها .
أرادت إيف أن تقول رأيها الصريح بكريستين المهملة لواجباتها كأم ولكن الرغبة في مساعدة أنيتا كانت أقوى عندها .
- أنسحبين لي باصطلاحها في نزهات؟

ردت بلوم لاذع : «أنت غير كفؤة للعناية بنفسك» .
- أنا قادرة على ذلك حين يناسبني الأمر، ربما تربطني متهرة بر Cobb الخيل ولكنني أقود السيارة بمهارة وأجيد السباحة لذا لا تخشي على أنيتا فستكون آمنة معى .
- استخدمنا المربية لتعتني بها . أنا واثقة أن غايتك نبيلة ولكني لا أثق بعصر فاتك . إن أنيتا بحاجة إلى بدحازمة تقشررين إليها .
هل تحيل المشكلة إلى الجدة؟ غير أن الجدة امرأة عجوز وقد عانت كثيراً في حياتها . ولا تزيد أن تنقلقها أو أن تعمق أحاديد السنين والكرب على وجهها . ليس أمامها إلا لاغارث . فالعم دايدهن الذي بلغ السادسة والأربعين، لا يجد متسماً كثيراً يأبهوه .
كانت الأسطبلات فارغة إلا من رجالين يقومان بأعمال التنظيف .

- صباح الخير آنسة .
- صباح الخير كورتنى .
بدا صوتها أجمل ورسينا .
- هل لك أن تسرج لي الكستانى الذي كان معنى بالأمس؟
- بالتأكيد آنسة . إلى أين تردين الذهاب؟
- إلى هنا أو هناك .

لم يكن كورتنى موافقاً فما زال الجميع يذكرون كيف أطاح بها الحصان عن ظهره، وكيف جن جنون المعلم الذي كاد يسلخ جلد

كله أنا عندي دعم أم الطفلة». نظرت إليها إيف باهتمام: «الماذ لا تناديها أنيتا؟ فلا أسمك تناديتها إلا بالطفلة، إنها إنسانة!» .

- أظن أن عليك الخروج من هنا أينها الآنسة . أما رؤية الطفلة فوق على تصرفها . فقد منحتني السيدة ماسترز كامل الصلاحية والسلطة .

ابتعدت إيف عن باب غرفة أنيتا، وهي متأكدة أنها ملتخصة به من الجانب الآخر تسع إلى ما يجري .
- سأكلمها إذن .

إن الأولاد عادة يرسلون إلى غرفهم كنوع من العقاب، لكن ما يفهم فيها هو سيطرة الأهل، وليس الأبواب الموصدة!
اضطربت إيف للانتظار نصف ساعة قبل أن تشق كريستين طريقها بكل كسل على الدرج . ولأول مرة أحست إيف بالسرور لرؤيتها:
- هل لي أن أكلمك كريستين؟
- عم تربدين التحدث؟
- عن أنيتا .

نهدت كريستين: «رجاء، لا تفعلي .
- علينا أن نتحدث عن أنيتا . أتعرفين أنها محبوسة الآن في غرفتها عقاباً لها؟

- انتركي كل شيء على حاله ولا تزجي أنفك في هذا الموضوع .
- ولكنها ابنة عمى .
ردت بفظاظة: «غير صحيح، كان والدك ابن عم والدها .
- وما زلت أباً عم . أنا واثقة أنك لم تسجنني مرة وراء باب غرفتك في طفولتك .

- ولكنني كنت طفلاً سوية! وما يقتلك أن آتي بلهاء، وليس بلهاء

الوقوف في طريق الرجال، بل البقاء بعيدة. لقد أثر فيها غارت دوماً
بسب مبالغته في حمايتها فهو يعاملها وكأنها فاقد، يسبب ببعض
حوادث جرت معها في الماضي... وما كانت تسمى شجاعة منها كان
يسمه هو تهوراً والمحظوظ عليها مسمى لليكتوريا
انطلق الحصان كالربيع مطيناً أوامراها فشعرت بالقطع أنفاسها.
 وبالانتعاش، أحبت الكستانى السرعة وأحبتها إيف أيضاً فما أعظم
الشعور بالبرية والحرية.

يا لعظمة الرايت هاند! إنها مكانها المفضل منذ الطفولة لكن
إيف كانت مأسورة بها لأنها مولعة بالفضاء والسكون وبالسراب
الذى يرفع سرعة خيالات لا تصدق.

شدت إيف زمام العجاد الكستانى ليتوقف وراحت تنظر إلى الأفق
الممتد إلى المساحات الواسعة الغنية بالأزهار الملونة. هناك ما
يضاهر حدقة وسط الصحراء؟ لا، لا يمكن ذلك أبداً
تابعت إيف الانطلاق وهي تفك أنها في تقديم المساعدة لأنها قد
تجد نفسها. لا يمكنها الاستمرار بالعيش على سيرتها السابقة كرج
نفسها في علاقات لا طعم لها ولا لون، وترمي بشئها على رجال هم
في الواقع تقبيض غارث.

كان منظر قمة كالكاكا عظيماً للمهرجانات الصاحبة الدينية لأهل
أوستراليا الأصليين، فتجدرانه الصخرية الضخمة ترتفع بشكل حاد
وسط المنبسطات... أما شمس النهار، فتمكس فوق الصخور
الكوارتزية اللامعة... بدلت الآن المنحدرات الوعرة، والآلوات
المتكرونة الضيقة، كتلية متراصمة من التبنات الريشية الأوراق، والألوان
البنفسجية والقرمزية والخضراء... في الأعلى، على واجهة الجرف
الصخري كهوف جدراتها الناعمة البالية مكسوة، برسومات عن صيد
السمك وصيد الطيور.

أرنولد الذي أسرجه لها. لم ينس كورتي الحادثة فحار ماذا يفعل
ـ أرجوك لا تذهب إلى التلال... هل ستدفين يا آنسة؟
ـ لم أفتر كورتي
ـ من المفروض بك إلا تتوجهي إلى هناك آنسة. فسيجن جنون
الرئيس!

ـ أنا أرغب فقط في نزهة كورتي... والآن أسرج لي الكستانى.
ـ هل لي بمرافقتك؟
ـ أعتقد أن لديك أعمالاً كثيرة.
ـ أخيراً استلم الرجل إلى الأمر المحظوظ.
ـ حسن آنسة... ولكن أرجو لا تكوني السبب في مشاكل بين
 وبين المعلم.

ـ وماذا تعني بتقولك هذا؟
نورد وجه كورتي: «أنتدرين الخلاف الذي وقع بين
الحصان؟»

ـ لقد قلت للسيد ماسترز إنها لم تكن غلطة أرنولد
ضحك ضحكة متواترة:
ـ لم يكن هذا كافياً آنسة، ما رأيت ولم أر «المعلم» غاضباً كذلك
المرة... كان على أرنولد أن يحاول منعك!
ـ ما تزال إيف نادمة على خطئها الشاذة ولكنها لن تخفي عمر
في توبيخ نفسها.

قالت: «أعتقد هذا... ولكن الأمر مختلف هذه المرة كورتي...
فأنا قادرة على كبح جماح الكستانى، ولن أسب لك المشاكل». ابتعد كورتي بشبات، مع أنه غير متأكد مما مستند عليه الآنسة فهي
شابة غريبة الأطوار أحياناً.
ولكن إيف قصدت ذلك المكان عمداً... ولم يكن في نيتها

المتوحش ! ثم لم تلبث أن تغيرت خطة دفاعها ، وراحت توجه الجواد
يمنة ويسرى . علَّ الجواد يركل بأحد حواريه «الدينغو». إنها فرستها
الوحيدة لأن أحد أئيابه انفرز في حذاء ركابها . صاحت شجاع الجواد ،
ونشم «الدينغو» ولكن ظل بهجم عليها غافباً ، مصمماً على الإطاحة
بها عن صهوة جوادها .

بعد لحظة سمعت صوتاً مائوفاً . إنه نباح عنيف شرس ل الكلب
رعاة وقف فورهم على الصخور . سرعان ما أطلق «الدينغو» عواء
تشعر له الأبدان ، واستدار ليواجه الكلب البعيد عنه عشرین قدماً .
ستكون معركة حتى الموت . وكلاب المزرعة لا تقدر يشنن وقد
دررت للقيام ب أعمال تناسيبها .

وثب الكلبان ، ثم ما هي إلا هنئية حتى أصبح الهواء مغبراً بشعاً
بأصوات عوبلهما ونياحهما .
المنتظر مخيق ومغرب فحاولت إيف مهاجمتهما لإنهاء العراق .
ولكن ، لم يعمرها أي منهما اهتماماً ، بل اندفعا يسعى كل منهما إلى عنق
الآخر .

نجاة ، جاء الصوت من ناحية أخرى . فمن بعيد ارتسما لها راكب
أوقف جواده ثم صوب بحدار نحو الدينغو فاردأه قتيلاً . وانتهى
الهجوم الوحشي . ولكن الكستانى الذي أخلفه العطلن الناري ارتد
إلى الوراء رافعاً قائمته الأماميتين فطرح فارسته أرضًا . فحطت فوق
الأشواك كلاعبة جبار . لم تصب ياذى . ولكنها كانت مصدومة . أما
الكستانى فعدا راكضاً تاركاً وراءه ذرياً طويلاً من الغبار الأحمر .
ـ لأنهم لماذا لا تفعلين ما يقال لك !

انحنى غارت فوقها وعيناه الزرقاوان مشتعلتان ، فصاحت به :
ـ حسناً ، حسناً .
ـ هل تاذيت ؟

إن جمع السافية الشاردة والمجموعات الناثنة أصعب مهمة يقوم
بها الرعاة . في السهول الواسعة ، حلت الهلكوكوتر مكان الفرسان ،
ولكن الرجال مضطربين لامتناعه الخيل للوصول إلى المنطقة الجبلية
الوعرة .

اتخذت إيف طريقاً للماشية تقضي إلى سلسلة من القمم
المسطحة . في طفولتها كانت تبدي الذهول عندما تجد بقايا حيوانات
بحرية فوق الصخور العنيفة . إنها بلاد غربية ، مذهبة . أرض الحرارة
والصحراء والصمت .

كان الكستانى ينطلق كالمشتاق نحو القمة ، وما هي إلا عشر
دقائق ، حتى سمعت إيف صوتاً بعيداً لرجال وكلاب وماشية . ستكون
نقطة المنبطح أهم نقطة للمراقبة . إنها لا تغى الوقوف في وجه أحد بل
جل ما تزيده هو التحدث إلى غارت . فقد كان صعب عليها الابتعاد
عن الآلة بورتون في وقت تحس فيه برغبة في تحطيم الباب المغلق .

نالت الأصوات وارتدى صدى الصياح والضربات ، رأت على
مشربة منها كلب الدينغو المتوحش المسعور ، يربض متظاهراً هذا الصياح
فقط . لقد هاجم أحد العجول الصغيرة ، وهو هو يربض متربضاً
بالجواد وفارسته . إنه جريح ، لقد أصبح بطلن ناري ولكنه لم يتمت
وهو هو بانتظار الوقت حتى يتشفى .

لم يصدر عن الكلب المتوحش صوت على الإطلاق ولكن عندما
مرت به وتب وتبة يرمي التهام قدمها المتتعلة حذاء . إن من يعرف هذا
 النوع من الكلاب المتوحشة ، يعرف أنه يقتل العجول ، وبهاجم
 المزارع وكلابها وينقض على الرعاة المستطرين جيادهم .

مع أنها فوجشت كثيراً ، نصرفت بشكل جيد فقد تمكنت بليجام
الجواد الذي ارتد إلى الوراء وبدأ يلت في دواز صاهلاً . أما إيف
فحاولت مقاومة «الدينغو» ببقعتها وراحت تتصبح : ابتعد عن أيها

أشار إليها.. ثم التفت لجحي كيرك وكونواي اللذين هرغا إليها بسرعة جنونية.. يدا على كونواي الاستحياء لرقة الكلبين.. وسأل كيرك: «أليس هذا هو الكلب الذي كنا نحاول اصطياده؟ عفواً يا آنسة».

تجاوزها بسرعة ليقفز نظرة إلى جسد الدينغو الضخم.. التفت غارث إليه: «نعم، أبذل ما يسعك من أجل الكحلي».. رد كونواي مدرب الكلب بيته: «طبعاً سيدى! يا لها من طلقة صائبة!» ثم التفت إلى إيف سانلا: «هل تأذيت؟».. هزت رأسها وساحت نفساً متحرجاً: «كنت محظوظة لأن الكحلي حضر بسرعة لينقذني.. إنه كلب رائع.. ولكن لو لا وصول المعلم في اللحظة المناسبة لوقعت كارثة».

طأطأطأت إيف رأسها الأشقر سخطاً: «أجل».. اعتلى غارث السرج وراءها يشدتها إليه، وقال ساخراً: «ها قد عدنا مرة أخرى.. يذات الشعر الأشقر المسترسل!».. لا أدرى أين هي قبعتي.. نظر كونواي إلى أسفل التل: «إنها في مكان بعيد في الأسفل.. قال له غارث: «سارجع إيف إلى المنزل».. قالت: «لا تزعج نفسك».

تجاهلها الثلاثة ثم قال كونواي: «لا تقلق يا معلم.. سأتدير الأمور هنا.. في الواقع لنندفع صوت ذلك الدينغو معنوياتي.. أخذ الجواد يجتاز المتحدرات الملتوية حتى وصل إلى بحيرة

استوت جالسة: «لا أبدأ، كيف حال الكحلي؟»

ـ غارق بالدماء.. ماذا نفعلين هنا حباً الله؟

ـ جئت على أقل أن أكلمك..

قال بطريقه الاستفراطية الخشنة:

ـ مجلس هادئ.. حداوك ممزق.. أكنت تعرفين هذا؟

ـ غريب.. لم أحس بشيء..

ـ فلا تلق نظرة إذن..

نزع بكل لطف مداها وجواريها، وهذا أمر غريب نظراً لتصرفه المخيف.. ثم وضع يده على قدمها فنظرت إلى قدمها المدمدة: «يا لسوء حظي!»

ـ هل حُقت حقنة للكزار؟

ـ أحسنت أنها كالعادة مخططة فاعتذررت..

ـ كنت أتوبى هذا..

ـ يا إلهي! يجب أن تُتحققني حالاً..

ـ أكفره رؤية الدم..

ـ لا تنتظري إذن..

ـ انحنى فوقها وحملها وكأنها ريشة خفيفة..

ـ أنت تذهليتي يا إيف، لأنك الشخص الوحيد الذي يتجاهل أوامرني، فلماذا؟

ـ ولماذا لا أتجاهلها؟ إنه لغطيع تنفيذ أوامرك جميعها..

شاهدت كلب الرعاة، فأوصي بالهلهل: «آه! يا للمسكين!..

وكادت تيكي، فالكحلي أثند حيانها.. نظر غارث إليها: «توقف عن البكاء، سيكون على ما يرام»..

ـ هذا ما أرجوه..

وضعها غارث على فرسه السوداء الجميلة التي تقدمت منه حين

نقاوم جنون مشاعرها ولللا تلمس خديه البرونزيين المقصولين . .
ولللا تدس أناملها في موجات شعره الناعم راحت تحدق إلى قمم
الأشجار الخضراء . .

سألها غارث، وقد رفع وجهه الأسمى الجاد القلق:
- أما زال يؤلمك؟
- قليلاً . .

إن ألم قدمها غير مهم أبداً إذا ما قورن مع خفقات قلبها . . ارتجف
جسمها كله فقالت: «أنت في غاية الطيبة معي غارث». . .
رد متهمكاً: «أو لا أعرف ذلك؟»
هست: «المكان جميل هنا، لا شك أنه كان في أحد الأيام مكاناً
قدساً».

- وفي أحد الأيام كنت تعيشين في البحر وكان لك ذيل سمكة.
في صوره ما جعلها تحبس أنفاسها . . إنها تشعر بما يحيط بها من
سماء وماء وأشجار وهدوء ولكن أكثر ما كانت تشعر به هو الرجل
المسك بقدمها الصغيرة . .

نظرت إليه وتعبر غريب بطل من عينيها الخضراء: . .
ـ فكرتك عنني طرية . .

- ساحجني . . لست فكرتني عنك غريبة . . فأنت أسريرته إحدى
حوريات الجمال إيف . . بالأمس كنت كذلك واليوم أيضاً وقدأ

- وهل لديك مناعة ضدى؟
حالما تفوهت بهذه الكلمات، ارتجفت، فقد انسلت الكلمات
منها لا إرادياً . .

- يا حلوتي . . أعرف أنك تحبين فتنة الرجال . .
مد يده إلى خصلة من شعرها النحيف، وأرجعها إلى الوراء . .
ـ ولكنني باردة يا غارث وهذا عكس ما أبدوا عليه . .

جميلة فتحركت الفرس فوق العشب وراحت تخعلو بين زهور الزنبق
البرى الزكي الرائحة . .

قال غارث: «فلتنظر هذا الجرح» . .
ـ لا يمكنك الانتظار حتى العودة إلى المنزل؟
ـ لا . .

ترجل غارث بسرعة ثم رفع ذراعيه إلى إيف . .
نظرت إلى زر قبصه اللؤلؤي تشعر بالاحمرار يغزو جسمها كله
فمجدد وجودها معه على الجحود يحرك مشاعرها . .
قالت: «لم أظن قط أنتي ساقع في المتعاب» . .
ـ وهذا ما يذكر دائمًا للألف . .
كانا في غاية التقارب فشعرت بأنها على وشك أن تميل نحوه . .

- إيف . . ما يلك الآن؟
رفع رأسه بحدة لينظر في عينيها، وذكرت: إنني خائفة . .
خائفة . . يا الله! لقد عرفت غارث طوال حياتها . . وقد خالته في أحيان
كثيرة بوشك على قتلها أما الآن فهو هناك خطير شرير أسود يظل برأسه . .
سألها بسرعة: «هل سيفمن عليك؟» . .

شدت أصابعه لحم خصرها . . فنالت بصوت متسلٍ:
ـ لا أظن هذا . . لا تقلق على . . بإمكانك القفز على ساق واحدة
حتى الماء . .
ـ لا تعمي نفسك أيتها المسكينة . . سأحملك . . فهذا على ما يدرو
أحد أدواري في الحياة . .

ـ على الأقل، أنا خفيفة الوزن بحيث لن يؤدي ثقلني ظهرك . .
كانت السياه باردة بشكل لم تتوقعه . .
ـ آه، إنها متحمدة . .
دفعها بحزم للجلوس على صخرة فيما راح ينظف جرحها ولكن

- كما شائين . على أي حال يا صغيرة . أنا أعتبر نصر فانك
 جزءاً طبيعياً من مرحلة نموك .
 قالت بغضب: لا تلاعب بي غارث، فما أنا العزيزة الولهة
 ليكي . سترزوجها أليس كذلك؟
 - أتسألكي أم تخبريني بهذا؟
 - أثرلني .
 - بكل تأكيد .
 أثرلها بدون لطف على العشب الندي ثم جلس قربها . سألته بحدة
 ووجهها المنحوت بدقة متورد ومتوهج:
 - هل ستبادر أطراف الحديث؟
 - لا . بل ساقوم بما هو مناسب .
 نظرت إلى قدمها: «آه، غارث» .
 - خاتمة يا طفلتي؟
 - أجل .
 - يجب أن تعرف ما إذا كنت باردة أم غير باردة .
 عندما ألت نظرة سريعة عليه شاهدت الضحكه والساخرية على
 وجهه فانفجرت بغضبه:
 - اللعنة عليك . اللعنة عليك .
 اخترت الكلمات على صدره . لو عاشت إيف ألف سنة لما
 نسب تلك اللحظة بالذات . فقد اندفع جسدها بباردة خاصة به
 لملاقاه إلى جانب روحها . خافت أن يغمى عليها قبل أن تعيش
 لحسن به . يا الله . كيف يختلف عناته؟ شعرت بأنها لم تعاشر فقط
 أحداً .
 ما إن وصلت بين يديه إلى نصف الجنون، حتى تركها . أبعدها عنه
 فوق العشب الندي وقال بتسوّة: «باردة حقاً» .

قال بصوت ساخر: «باردة» .
 - أجل . وللاسف لم يغير في خطيبان هذه البرودة .
 - أشفق عليك حبيبتي .
 - آه لبتك نصدقي . لقد اكتشفت هذا بتضي .
 كانت لهجه لاذعة كتعير وجهه:
 - إن كنت باردة فأنا مسرور بذلك . ربما ستطلبين مني معانقتك ولا
 أظن أن بالك سقطمن حتى أفعل .
 رفعت يديها إلى فوق تحمي نفسها مذعورة: «أنت مجرتون» .
 - بل أنا صادق إيف، أما أنا، فلا .
 كان الجو عابقاً برائحة الزنبق البري، وكان في عينيها لهفة
 حقيقة . لقد أدركت متأخرة التفاهات التي نطقتها . غارث يعني
 كثيراً من الأشياء لها: القوة والأمان ولكنها الان متزعجة، متزعجة من
 الإثارة، الإثارة المخيفة، الخطرة الباهرة . إنها لا تزيد . لا تزيد .
 إنها تخجل حتى من التفكير .
 وقف غارث فجأة، وفي عينيه الورقاوين توثر مجدداً:
 - هيا بنا، يا بارديني الجميلة . يجب أن أعيدك إلى المنزل .
 مدت يدها إليه، وهي تحس بأشوا وخرزات اليؤس . أمن طبيعة
 المرأة أن تكون حمقاء إلى حد الجنون؟
 حملها بين ذراعيه: «أنت تخافيين بسهولة» .
 - لا تزيد معرفة السبب؟
 رد ببرود: «أعرف السبب فهو في غاية الوضوح» .
 شعرت بالغصب فجأة فقالت:
 - أتلسع إلى أنني أقوم . يعرض شيء عليك؟
 - نعم يا فتاتي العزيزة .
 - أنت متواحش . غارث!

- لا تغضب مني غارث.. أكره نفسي حين تغضب مني.
 - لكنك تفعلين ما يوسعك لإغراضي أم أن هذا أمر عابر؟
 أحسنت بالحزن.. فما قاله صحيح.
 - أعدك بالآللنك أو أقتل جايسون أو الجدة من الآلن وصاعداً.
 لقد فهمت أحطاء طريقي في الحياة.
 - هذا واضح.. والآن ستاليين قليلاً من العبث معى.
 - لا.. صدقني لا.. فأنا راهبة دير بالمقارنة معك.
 اتحنى فوقها ثانية: «يمكنا تغير ذلك».
 قالت رغم ارتجافها شوقاً: «لا، لا تفعل غارث».
 إلى أين سيقودها هذا الجنون؟
 - ظلتكم ترغيبن في الصراخ حتى يبح صوتكم؟
 شعرت بأنها تستمع هذه القصيدة دائمًا.
 - أنت لن تسامحني أبداً.. أليس كذلك؟
 الثقة أصابعه السمراء النحيلة على عنقها البيضاء العاجية:
 - لا.. وليس هناك ما يمكنكم فعله بهذا الصدد.
 • • •

- كنت مخططة.. وكيف لها أن تقول غير هذا بعد تجاويفها المسحورة؟
 - التفريح سبط.. كنت أعاتق من هو غير مناسب.
 - وكانت تحيزني قلوبهم.. مسكن جايسون العجوز.. ومسكن
 أنا.. شعرت جدتي بعذاب دائم وهي تسأله عما يحدث لك وأنت
 بعيدة عن البيت.
 صاحت: «استطيع العناية ببنفسِي».
 نظرت إلى وجهه المتعجرف الجميل.. كانت أهدابه كثيفة،
 وكانتها جناح غراب أسود حول عينيه الزرقاويين العميقين.. لم ترَ فقط
 مثل هذا اللون المثير للإضطراب، حدقت النظر إليه مذهولةAMA هو فبدأ
 وكأنه يقاوم رغبة قوية في معاقبتها.
 قال محذراً: «لن أعتمد على قولك! في الواقع، بدأـت أؤمن بقوـة
 القدر.. لقد أرسلتني جدتي للاحضارـك فكانـ أن وصلـت في الوقت
 المناسب».
 - هيا.. استمر في تذكيري بما حدث.
 - سأذكرك به دائمـاً لأنـي لا أستطيع نسيانـه أبداً.. لم أشاهـدـكـ قـطـ
 مررتـةـ ماـ هوـ أقلـ مماـ كنتـ تـرـتـديـتـ.
 - حسنـ جداً.. إذنـ لمـ يـعـجبـكـ ماـ رـأـيـتـ؟
 - وجـدتـهـ غيرـ مـقـبـولـ أـبـداـ.ـ فيـ الـوـاقـعـ،ـ يـلـعـلـيـ خـرـوجـكـ مـنـ التـجـربـةـ
 بـرـيـةـ وـلـكـنـ عـلـىـ أـيـ حـالـ أـنـتـ فـتـاةـ عـجـيـةـ.
 دـارـتـ فـيـ رـأـسـهـ صـورـ رـهـيـةـ لـهـاـ وـلـغـارـثـ.ـ تـصـورـتـ يـدـيـهـ حـولـ
 قـدـهاـ الرـشـيقـ،ـ لـكـنـهاـ لـاـ تـسـطـعـ السـماـحـ لـنـفـسـهاـ بـهـذاـ التـفـكـيرـ نـلـاـ
 تـكـشـفـ مـاـ هـوـ فـلـيـعـ.

- بـارـدـةـ..ـ يـالـهـاـ مـنـ سـخـرـيـةـ!
 قـالـتـ بـصـوـتـ مـنـخـفـضـ مـتوـسـلـ:

٥ - درس في العواطف

آلمتها حقنة الكزاز كثيرة فقالت الجدة مواسية: «تشجع يا صغيرتي».

والتفت إيف إلى غارث متهمة: «أظنك مستمتعاً بالمي».

قال ساخراً: «حبيبي... ما كان لطبيب أن يقوم بعمل أفشل من هذا».

قالت الجدة: «لو رأيت يا عزيزتي كيف يموت الناس من التهاب جرح، لما اشتكىت من الحقة».

سألت إيف العجوز: «وهل شاهدت أحداً جدتي؟»

ردت الجدة بتجهم: «أجل، إنها طريقة رهيبة للموت».

نظرت إيف إلى قدمها المضمدة: «ولك خدش بسيط».

رفع غارث لها ذقنهما يتظر إلى عيبيها: «أنت شاحبة».

نظرت الجدة إلى حقيدها المشوّق الوسيم:

- كوك تحضر الشاي... ستبكي معنا... أليس كذلك حبيبي؟
- أجباب وهو ما يزال يتظر إلى وجه إيف المضطرب.
- عشر دقائق فقط... ستتعرين بتحسن بعد لحظات.
- نقلت الجدة بصرها من أحدهما إلى الآخر:
- سأقول لك كوك إنك باقى، لا تقلق غارث... سيعود إليها لونها بعد دقيقة... فهي تخاف الحقن.

استند غارث إلى الغرفة: «هذا صحيح».

قالت إيف بعد خروج الجدة: «لمن ما أريد مكالستك عنه».

- لا يمكن له أن ينتظر؟

هزت رأسها الحريري: «لا».

- حسناً، ما هو؟

- إنها أنتا... أتعرف أن المربية تسبحها في غرفتها؟

اختفت إبتسامة السخرية عن فمه ووجهه: «ماذا؟».

- تزيد بذلك تعويدها على النظام... تحدثت إلى كريستين بالأمر، لكنها لم تبد أقل اهتمام.

فبت خطوط وجهه، حتى بدا وكأنه قناع منقوش:

- باشه عليك قولي ماذا يبدي أن أفعل؟ هل أتجاوز سلطة الوالدين؟

لوحت برأسها بمنتهى وبرىء:

- أظنك مضطراً إلى ذلك! لا يعجمي حسناً لأي سبب كان، وأنت تعرف إن ما تطلبه سيد حالاً... تحدث إلى كريستين

- عم؟

لم يسمعا تقدم كريستين إليهما حتى سألت... فنالت إيف بسرعة:

- عن سجن المربية لأنها

وعاد اللون الأحمر إلى يترتها الشفافة.

تقدمت كريستين نحوها وحاججها الأسودان من فو عان:

- عم تتكلمين بحق الله؟

قالت بهدوء: «الله ناقشت الموضوع يا كريستين».

صححت كريستين لها بحدة:

- لم تتحدث إلا عن قيامت بزار عاج أفضل مربية حصلنا عليها حتى الآن! وعليك في المدة التي ستبقين فيها ألا تزعجي المربية، فيكتفيها عباء أنتا... ربما وسائلها صارمة ولكن لا مجال للتساهل مع أنتا.

سألها غارث بخشونة: «إذن هي محبوسة؟»

أدانت كريستين جسدها التحيل المحتور لوجهه غارث:

- ليس لدى فكرة عن الأمر. أنا لا أسأل المرأة يا غارث... لقد أحرزت نقدماً رائعاً مع الطفلة.

صفعت عيادة الزرفاوان وجه كريستين التعرّى:

- وهل بدأ لك فجأة فعالة؟

- أنا مقتنعة أن الآنسة بورتون تساعدها! إنها خبيرة في هذا الحقل... هي معرضة، ونعرف الأوجبة المشاكل للأطفال المستعصية.

لم تستطع إيف البقاء صامتة:

- كلام هراء...! ما هي السعادة التي تدخلها إلى حياة أبنتنا؟ لا يمكنك شفاء الطفل بحبه.

ردت كريستين: «أظنك تخليتين أمر سجنها»

وضع غارث يده بحرم على كتف إيف:

- هل تعترضين يا كريستين إن كلمت المرأة هذه اللبلبة؟

ثبتت كريستين عيبيها على وجهه الأسمير الناصي: «بالطبع لن اعترض... وأنا أعرف أنها تود أن تكلمنك».

نظر إلى إيف الصامتة: «هل تشعرين بأنك أفضل حالاً».

ردت عاية: «أجل».

نظرت إليها كريستين بعدها واضح:

- يا الله! انظروا من يعرض بد المساعدة لأنينا! أنت صاحبة الوجود في المشاكل دائمًا؟

قال غارث بحرم: «لو كنت مكانك كريستين لقبلت عرضها شاكراً».

عندما شاهدت كريستين تعبير وجهه، سارعت إلى التو!

- أنا متبررة قليلاً مؤخراً... إن قصد إيف بيل ولكن أبنتنا طفلة

صعب المراس.
وضع غارث يديه على خصر إيف التحيل، ورفعها لينزلها إلى الأرض.
- ليس لدى الوقت لأناقش هذا الآن... ابني قدمك مرئاتحة هذا النهار.

قالت كريستين بصوت مشدود:
- يا الطريقةكم في معاملتها! تبدو صغيرة عاجزة... ومع ذلك فهي متهرة إلى حد الجنون.
قال غارث بعذوبة:
- كما أنها هادئة أمام الطوارئ... فلو تعرضت امرأة أخرى إلى الهجوم من حيوان مفترس لأصبت بالجنون... كنا نلاحق ذلك الذي يغزو من شهر... أنا آسف لأن إيف واجهته وهو جريح وهذا ما ضاعف خطره.

بدت كريستين غير قادرة على إخفاء غيرتها
ـ ما كان عليها الخروج... أذكر أني طلبت منها عدم اللحاق بك.
بعد رحل غارث، الفتت كريستين إلى إيف بغضب حارق:

- لا تزعمي الخلاف بيني وبين غارث!
سألت الجدة بصوت مهدب: «وما فصدقك يا عزيزتي؟»
هزت كريستين رأسها: «تعرف أنتي أفهم برأي غارث بي».
ردت الجدة وهي تدبر وجهها نحو الحديثة:
- هذا صحيح... إيف متهرة قليلاً... ولكن من الواضح أنها تزيد مساعدتك

معنت كريستين نفسها من الرد بحدة. «وكيف لها ذلك؟»
ما من أحد مهما كان غاضباً يقدر على رفع صوته في وجه الجدة ماستر... إنها سيدة ذات سيطرة كبيرة ونفوذ أكبر. ازداد غضب

- حسن جداً... سأنتظر.
 عيّت المربية: «انتظري؟»
 بدا لإيف أن الأدب والدبلوماسية غير نافعتين... فبینها وبين الآسة
 بورتون عداء طبيعي بحيث لا جدوى من محاولة الالتفاف على هذا
 العداء. حدقت إلى السيدة الثانية، ثم تجاوزتها.
 - كنت أدرس في هذه الغرفة.
 - عرفت أنك سيدة شابة وفيعة الشاشة.
 - لست كذلك فكل ما نلت درجة يكالوريوس في الفنون والأداب.
 لامست إيف بحب صندوقاً ممتلئاً بدمى جميلة تعود إلى العصر
 النيكторى... قالت الآسة بورتون:
 - أليست رائعة؟ ولكن الطفلة لا تهتم بها أبداً... ألم تحببها وأنت
 طفلة.
 - أعتقد أنه لم يسمع لأنينا بملصها أبداً
 بدت الدهشة على المربية:
 - بالطبع لا... ! فلن تقدر طفلة كأنينا على الاعتناء بها.
 ردت إيف بحزن:
 - لا تسرعي في الحكم علينا آنسة بورتون... أنتي محاطة بأشياء
 كثيرة ولكن القليل منها مسموح لها أن تلمسه... إن نفس الأشياء أمر
 مهم للأطفال.
 ابتسمت المربية ابتسامة رفيعة:
 - ربما... ولكنك لن تقرئي أن تلعب بإحدى هذه الدمى الرائعة
 الجمال؟
 - قد تشعر بالأسف عليها لأنها دمى محبوبة.
 ابتعدت المربية وتقدمت إلى الباب المشترك في الغرفة الأخرى
 ونادت: «أيننا».

كريستين لأن السيدة العجوز لم تتركها قط تفترب منها كما تفترب
 الشراء الصغيرة المؤلولة البشرة ذات العينين الخضراوين التجلاويين.
 قالت الجدة: «الماء تمنعها من مرافقنا أيننا؟ أتعرفين أن الصغيرة
 تسمى «الشمس المشرقة»؟»
 هزت كريستين رأسها ستمة: «ربما بسبب لون شعرها».
 - بل لأنها تحبها.
 - يا له من إطاراء... إن كان هذا يسعدك جدتي، فأنا أوفق على أن
 تقدم إيف المساعدة للمربيّة.
 سألت إيف: «هل لي أن أرى أيننا الآن؟»
 ومضت علينا كريستين العسلتين:
 - إن شئت ذلك... تبدين مصراً على تحقيق شيء ما، ولكن أيننا
 سنهزمك... أما بالنسبة لي، فأنا ذاهبة لأرسم.
 علقت الجدة بعد لحظات من خروج كريستين:
 - إنها ذكية بارعة، صحيح أنها غير متعلمة ولكنها تملك قدرات
 حقيقة.
 ردت إيف: «أجل، أعرف ذلك. متى بدأت تهرب من طفلتها؟»
 نظرت الجدة إلى يديها: «منذ البداية».

 تقدمت مرة أخرى الآسة بورتون إلى باب غرفة الدرس فقالت إيف
 بصوت تعلمت السيطرة عليه في أرفع المدارس الداخلية:
 - مساء الخير.
 ردت المربية وقد صدمتها عودتها بسرعة:
 - مساء الخير.
 - فكرت في الاعتناء بأنينا بعض الوقت.
 - إنها نائمة.

انضم إيف إليها: «ألم تقولي إنها نائمة».

فتحت العربية الباب رداً على إيف فوجدت أينما فوق السرير
الضخم مستلقية بلا حراك... ولكنها مستيقظة.

قالت الآنسة بورونون: «أرأيت؟ لم تر مع أنها سمعك؟
- أرجوك... أود محادثتها على انفراد.

ردت العربية بحدة: «كما شائين، ولكن أنها لن تسامحك إن
سيت لنا مناسب آخر... لقد تمكنت من السيطرة على نوباتها
العصبية».

ظللت أينما مستلقية خامدة وكأنها دمية مكسورة... لم تدر رأسها ولم
تعط دليلاً على اهتمامها بوجود شخصين تاضجين معها في الغرفة...

بعد انسحاب العربية، تقدمت إيف إلى النافذة ونظرت إلى الخارج
حيث المنظر الرائع، والمساحات اللامحدودة والحدائق الغناء... إن أينما
رغم هذا المنظر الرائع حولها كانت تدفع قسراً إلى الخارج، فهو
خاف الجياد، وتخاف الماشية... لقد قرر والدها منذ زمن، أنها ليست
كافرada عائلة «ماسترز» أبداً...
قالت إيف بطفف، ونظرها إلى الخارج: «مرحباً أينما».

لا جواب.

- لينا تقضي بعض الوقت معاً.

- أنت بيتدرين عن المنزل دائمًا.

كان الصوت العريض قاسياً ومنخفضاً.

- ليس هذا ما أريده... ولكنني مضطرة إلى القيام ببعض
الأعمال... لقد ماتت والدتي يا أينما... ولا أستطيع العيش هنا.
اذهي!

لم تستطع إيف أن تعرف ما إذا كانت الفتاة تريد منها أن تذهب أو
تريد أن تكرر جملتها السابقة في صياغة أخرى... ولكن من خلال نبرة

صوتها المتألمة وجدت إيف أن الصغيرة تريد منها البقاء...
- اسمعي أينما... أحب أن نرافق لمشاهدة الزهور البرية... هذا إن

أردت مراجعتي... إن الزهور البرية جميلة، وبإمكاناتنا أن نتجول
بمفردنا... وطبعاً يجب أن تساعديني... لقد آمنت قدمي.

جلست أينما في السرير، نظر إليها: «أتولمك؟»

هزت إيف رأسها، تخفيضه قليلاً ليتبطلع غصة في حلتها... كانت
أينما تكلمتها بجهد كبير، وكانت أصواتها الصوتية بخطب:

- لا تؤلمني إلى حد أن تمنعني من الخروج... إنها قدمي البرى،
وأستطيع قيادة الجب.

لقد طلب منها غارت الشاه في المنزل، ولكنها تأمل أن تؤثر
حدائق الصحراء في الصغيرة:

- أتر غبيين في روبيتها؟

سللت أينما من السرير: «أجل»

كانت أصغر من سنها ولكنها مكتنزة أما وجهها فلم يكن جميلاً...
- وماذا ستفعل بها؟ (سألت الصغيرة)

- أخافتها منها؟

صمتت أينما... فمدت إيف لها يدها:

- قالت الجدة إن بإمكانك الخروج

تحركت أينما سرعة وأمسكت بي إيف التي فوجئت بحركتها

- أوه... ثمة مشكلة... نحن بحاجة إلى أحذية!

تعلمت الفتاة إليها: «هذا صحيح»

- أين هي الأحذية في الخزانة؟

- هذا صحيح

- إذن ستجدها

تقدمنا إلى الخزانة الكبيرة ذات الخشب الأرزى الأحمر، فجأة

قدم إيف واقع أن الغرفة كبيرة على طفلة. فالألذات كلها مصنوع من خشب الماهوغوني الصلب، والغرفة تسع لذرية من الأطفال الصغار وهي تفتقر إلى الألوان الزاهية البهجة. إنها غرفة معقدة رسمية وكبيرة جداً على طفلة.

شدتها أثينا من يدها تستغرب استغرافها في التفكير:
ـ إيف..؟

تبهت إيف من انكاراتها ففتحت الخزانة الضخمة ونظرت إلى داخلها. في الخزانة أغراض كثيرة. يحيط أن أثينا لن تجد الرقت اللازم لترديها جميعاً. بل إن بعض الملابس تناسب إيف لا طفلة صغيرة ببرية.

أخذت حذاء أصفر اللون:
ـ ما رأيك بهذا؟
ـ أصفر..

وجلست على الأرض لتساعدها على انتعاله. وضع إيف الحذاء الأيمن في يد الفتاة:
ـ اتعلّه يتنفس.

شع وجه أثينا بالفرح المطلق. ولم تجد صعوبة في انتعال الحذاء، فأبديت إيف إعجابها:
ـ فناء رائعة! فلنذهب الآن!

جرت مواجهة أخرى في الغرفة الثانية حين قررت إيفأخذ دمية صغيرة معها. تراجعت أثينا وأظهرت الخوف ولكن إيف دنت من الصندوق وفتحته.
ـ اختياري واحدة.

عبرت المربيّة عن استيائها: «حقاً آنسة ماسترز!»
فاجأت أثينا المرأتين باختيار لعبة جميلة كانت إيف في طفولتها

تحبها كثيراً
ـ هذه..

ابتسمت لها إيف: «أنت على حق. لوسي كانت لعبتي المفضلة». قالت المربيّة: «أرى يا آنسة أنك تخليين المزيد من المشاكل لدى أثينا ميل طبيعي إلى التدمير.

قالت إيف: «أنتهى أنا تفهم معنى هذه الكلمة». ولكن تعبر وجه أثينا، دل على أنها فهمتها ففكّرت إيف. متخلّفة؟ بل هي سريعة الاستيعاب.

قالت الصغيرة: «أكرهك». ابتسمت المربيّة:

ـ أنا وأنتة من هذا.. ولكننا سرعان ما نصبح صديقين.
ـ لا.. لا.. لا!

وعندما قالت إيف «الأخير كانت تصرخ.. فارتعشت المربيّة تنظر بانتصار إلى إيف:

ـ ها قد بدأت من جديد..
ـ أمسكت إيف يد الفتاة بحزم:

ـ ستحرج الآن.. أترغبين في أن تحملني اللعبة لوسي. قالت الآنسة بورتون وهي تشعر بأن إيف ترتكب غلطة جسيمة: «إن هذا العمل لغبي».

ـ ما ان تركت إيف يد الصغيرة، حتى رفعت لها ذراعيها: «أرجوك».

ـ أرى أن لوسي ترغب في مرافقتنا.. المكان خائق في الصندوق.. ستحرجها جميعاً، واحدة واحدة.

حضرت أثينا اللعبة الجميلة إلى صدرها بقوّة تجذب متعمدة النظر إلى المربيّة.

كانت النزهة ناجحة جلس خلالها الثلاثة، إيف وأيتها ولوسي بهدوء بين الزهور البرية. كانت أيتها غارقة في صنع سلامل من زهور المغرفينا البرية البيضاء لزين «لوسي» أولاً، وإيف ثانياً ونفسها أحيراً، رأت إيف أن الصغيرة تُظهر براعة بدوية ممتازة، وهي إلى ذلك تخذل الآلوان بأسلوب معين.

لم تشعر أيتها بالمتاعب إلا عندما قررت إيف العودة.
قالت أيتها وهي تكاد تجهش بالبكاء:

- لا... لا أريد الذهاب!

صعب عليها وهي ترافق الطفلة ألا تشدها إلى حضنها، ولكنها قررت أن تهدى، روعها بالتدريج.

- لا تنسِ أن «لوسي» يجب أن تعود إلى البيت. وغداً يأتي دور «الولينا».

يبدو أن جملتها هذه أثارت اهتمامها... فقد عدلَت الصغيرة عن البكاء وقالت للدببة: «آسفه لوسي».

احسَت إيف أنها على وشك البكاء بسبب محنة الطفلة للدببة.
قالت: «لا شك في أنها استمتعت كثيراً».

شرحَت أيتها لها: «أنتي أحبهَا».

في طريق العودة لاذت الصغيرة إلى الصمت ولكن وجهها بدا هادئاً وكان نفسها مفعمة بامل فرب.

كانت كريستين بانتظارهما وعندما نظرت إيف إليها وجدتها عابسة.

قالت بحدة: «تأخرت أيتها عن موعد الشاي».
فكَرَت إيف في الرد: أذهبني والقُنْزِي إلى داخل الشاي! تحركت أيتها فوراً لتسكب يد إيف، وما إن فعلت حتى اسللت الدمية من بين ذراعيها. فسارعت كريستين لالتقاط الدمية:

ـ آه... يا إلهي... أيتها الفتاة الغبية!
وسرعان ما انتصبَتْ أيتها بصوت ينطلي القلوب وهذا ما دفع بالجدة إلى الخروج، ثم لحق بها غارث.

صاحت كريستين بصوت أعلى من الضجيج: «من أعطاها الدمية؟»

ظهرت المربية بورتون من مكان مجهول:
ـ الآنسة ماسترز.

صرخت كريستين: «ولماذا؟ كادت تحطمها». قاطعنها الجدة: «كريستين، أرجوك».

قالت إيف: «صاحب أيتها إلى غرفتها... لقد اعتنت بالدببة طوال الظهيرة والعصر أما ما حدث الآن ف مجرد صدفة... سارعت المربية لإعطاء الحادثة اسمًا جديداً:
ـ إنها مشكلة سلوكيّة».

صاحت كريستين: «اللعنة على كل شيء! إنها تحطم الأشياء!»
حملَ غارث الطفلة الباكية ووضعها على كتفه:

ـ تعالى يا طفلتي
توقفتْ أيتها فوراً عن البكاء وقالت مذهولة:

ـ أوه!

قالت الجدة: «احملها إلى فوق غارث وستراقبك إيف».
سألت كريستين الجدة متولدة مشيرة إلى إيف:
ـ ماذا تحاول أن تفعل؟ لقد وظفت الآنسة بورتون للعناية بالطلفلة... وهـا هي إيف تعقد الموقف. ما الخبرة التي تملكها في عالم الصغار؟ أيتها تحبها نعم ولكن حبها هذا لن يساعدها كثيراً.

لحتت إيف بالرجل والفتاة التي كانت تلف يديها حول عنق غارث... ولم تكن متمسكة خوفاً على نفسها، بل كانت مستربحة. ما

نظرت إلى أصابع يدها التحيلة تحركها مع الحروف:
 - ض. خ. م. ة.
 - هذا صحيح.. أترغبين في غرفة أخرى؟
 وفقت إيف قرب غارث:
 - غرفة تخزينها ينفك؟
 اتخذ وجه أنتا المتبدد، شخصية محددة..
 - آه، آجل! أريدها قرب غرفة إيف.
 هز غارث رأسه: «حسن جداً.. ويا مكانك انتقاء الأثاث أيضاً».
 نظرت أنتا إليه متسمة العينين: «على لا يكون لها أطفال».
 - على لا يكون لها أطفال.
 اغفروقت عينا الطفلة بالدموع: «لا مفاجئ؟»
 مد غارث يده يملس شعرها التصوير.
 - لك ما تريدينه.. هذا ينفك أنتا.
 ردت، وكانتها راشدة:
 - سيل هو ينفك.
 إذن سأعطيك ما تريدينه يا أمي الصغيرة.
 وثبتت أنتا الصغيرة، المضطربة عاطفياً ورمت نفسها على غارث
 متسمة وجلس غارث على السرير بضم الصغيرة بين ذراعيه.. يقول
 بطف:
 - أبكي ما شاء لك ذلك يا طفلتي.. أبكي، ودعني ما في داخلك
 يخرج..
 قالت إيف، والدموع تساقط من عينيها الخضراء:
 - كنت مع دوماً هكذا.. أحبك غارث.
 وجلست على السرير تسترد رأسها الأشقر على كتفه أما الصغيرة
 فندفت نفسها بين ذراعيه، كان منظراً غريباً ورائعاً سرعان ما تبدد.. إذ

إن وصلوا إلى غرفتها حتى التفت إلى إيف مبتسمة.
 يا الله! أي أمل لهذه الطفلة؟ وبدا لإيف أن مزاج كريستين
 السوداوي هو المسؤول الأول عن مشاكل ابنتها الصغيرة.
 وضع غارث الصغيرة في سريرها، وسألها:
 - هل استمتعت اليوم؟
 - هل شسمح لي بأخذ لوليتا معفي في الغد؟
 - ومن هي لوليتا؟
 - إنها دمية أخرى.
 - آه.. فهمت!
 - هل أستطيع.. أرجوك.. غارث؟
 - أجل.. لكن عليك الاعتناء بها.
 استرخى الوجه الصغير المتوتر: «أعرف أن العناية بها واجب».
 - انفقنا إدن.
 وقف قرب الصغيرة ينظر إليها ثم سألها مجدداً:
 - أتريدين أمك الآن؟
 تغيرت ملامحها وظهر التوتر عليها مجدداً: «لا».
 - هل أنت سعيدة مع الآنسة بورتون، أنتا؟
 - أكرهها.
 استدار غارث ينظر إلى إيف: «ماذا ستفعل الآن؟»
 جلست أنتا في السرير الكبير تنظر إليهما.. قالت إيف معبرة عمما
 تفكر فيه بحماس:
 - قبل أي شيء.. إن نظرت إلى ما حولك رأيت أن هذه الغرفة
 ضخمة: ض. خ. م. ة.
 قالت أنتا: «لا أحبها إنها كبيرة.. ث. ب. ي. ر. ة»
 سألها غارث: «وكيف تهجهتين ضخمة؟»

صاحت كريستين من خلفهما:

- ماذا يجري؟

انتفضت إيف وعادت إلى الواقع رافعة رأسها، ناظرة إلى الخلف إلى وجه كريستين الغاضب التي كانت تقف وملء عينيها الغضب والشك.

سرعان ما فرض غارت سيطرته، فأقى صوته هادئاً ولكن مسلطاً:

- مهلاً كريستين.

دخلت الجدة وهي تعى كالعادة، ما يجري:

- كيف حالها الآن؟

تابع غارت حضن الصغيرة، مع أن دموعهاتوقفت:

- بخير.. اكتشفنا أنها لا تحب غرفتها، ولا تحب الآلة بورتون.

قالت كريستين بغضب:

- إنها الشخص الوحيد الذي تجع في السيطرة عليها.

- الآلة بورتون لم تساعدها قط.

دفعت لهجة التوبيخ في صوته كريستين للارتفاع على عيدها والهرب من الغرفة. نظرت الجدة إليها بحزن:

- يا إلهي ! يا إلهي !

- فلتذهب يا جدتي .. فإنما الآن أشد اهتماماً بآنتا .. تبين لي الليلة أن الطفلة غير متخلفة أبداً وأن بعض الحب والتفهم سبب شبابها.

نظرت الجدة إليه: «أعرف هذه، ولكن على الحب والتفهم أن يكون مصدرهما الو..الل..د..ي..ن..».

ابتسم غارت:

- يجب أن تعرفني يا جدتي أن آنتا تعرف التهجمة.

ابتعدت آنتا عن غارت وهزت رأسها:

- أجل .. ولكن لم يعلمني أحد شيئاً

بعد العشاء، انتظرت إيف غارت الذي كان يتحدث إلى الآلة بورتون في المكتبة.. كانت ساعة عشاء متورطة ولم يقل فيها أحد كلمة.. لم تأكل كريستين شيئاً، وأيقن العم دايدن نظره مركزاً على صحته، أو على صور أسلافه. من الواضح أن جدلاً ما وقع في غرفتهما قبل العشاء.. وتساءلت إيف مرة أخرى لماذا تصور العم يوماً أن زواجه سينجح.. إنها كالماء والزيت.. نقطة اللقاء الوحيدة بينهما هي الإحباط بسب ابتهما الوحيدة.. وأوحست إيف أن هذا هو السبب الجندي لمشاكل آنتا.. فكيف لأي طفل أن يقبل الرفض من والديه؟ وهل السبب أنها غير جميلة؟.. لكن أمهاها عمر مديد بعد. في كثير من الأحيان تتقلب قبعة الصغار إلى جمال في الشباب. إن الفتاة ذكية وهي تخفي كل شيء في نفسها، ومانويات الصراخ والبكاء والتصريف المزعج إلا توصلات يائسة للاهتمام بها.

لم تأكل إيف كثيراً.. وها هي الآن تنتظر خارج باب المكتبة تحس بالغثيان والارتجاف، فقد طلب غارت وجودها.. ولا أحد في الوابت هادئ يعصي أوامرها.

ما هي إلا لحظات حتى فتح غارت الباب، ثم تراجع لشِر الآلة بورتون التي هرعت إلى الخارج رافعة الرأس وعلى وجنتها لون غير متساوٍ وفي عينيها نظرة عداء رهيبة موجهة إلى إيف.. ولم يتكلم أحد.. فماذا هناك ليقال؟

ما إن أفلقت ياب المكتبة وراءها حتى قالت إيف:

- إنها غاضبة مني ! هل طردنها؟

- ما كان يجب أن توظف أصلاً.. ربما هي قادرة على العناية ببعض الأطفال، وإن كنت أشك في ذلك، ولكنها غير قادرة أبداً على رعاية آنتا.

- مني تغادر؟

وقت العشاء».

- بملابس أنيقة وبدون ملابس، فما الفرق؟
نهدت تنهيدة عميقه: «لا بدأ من جديد».
ضحك ضحكة قصيرة، فيها شيء من العنف:
- ساختار ينسى خطيبك القادم.
- أظنك ساختاره صالحًا.

بدأت الإثارة تتفاقم في أعماقها وبدأت تظهر في اشتداد عنمة عينيها، وفي تورد وجهها العاجي.
- ألم أعن بك دائمًا؟
تحدتها نظرته أن تذكر. نظرت إلى الأسفل ولوت يديها تشكهما على ركبتيها:
- بالطبع اعتنت بي... وأنا آسفة لأنني لن أستطيع رد الجميل...
أعني... لم أعرف بأمر راكيل... ولا لما اشتريت الورش...
فاطعها بجرأة: «الثمة وسيلة لرد الجميل...»
- كيف؟
- لا تعنى لك مصلحة أنتي الكثير؟
وقفت تنظر إليه: «طبعاً».

رفع رأسه يسنده إلى ظهر كرسيه يراقبها بعينيه:
- هل تشعرين أنت تفهمينها؟
- قليلاً... فلدي طريقة معينة مع الأولاد...
والرجال... وهذا ما نحن بعذ عنه.

سرت قشربرية في بشرتها... بدا مسترخياً، ولكنها شعرت بأن استرخاء هذا مجرد قناع لتوتره... دنت منه:
- وماذا تريدين مني أن أفعل؟
- أبقي هنا مع أنتي.

قال غارت متربأ: «سارسلها بالطائرة غداً... أكره أن أفعل شيئاً ما يتوجب على غيري فعله».
قالت بحزن: «لن يقول العم دايثلد شيئاً، يبدو أن شجاراً ما وقع بينهما».

مدد ذراعيه متربأ: «الأزواج عادة يتشاربون، أنا من لا يعجبني الزواج أبداً».

ضحك: «هذا يفسر الأمور... لكن ماذا عن وريث للوابت هات؟»

الفت عيناها الخضراء وانبعاثي غارت.
- يجحب أن يكون في الزواج أكثر من رغبة في إنجاب وريث.
- وما هو الذي تستطره أملاً؟
النوى فمه يسحرية ذاتية:
- لم أعد واثقاً... لا يمكنني مقاومة الجاذبية الجنسية.
ورفعت إيف حاجبيها الرقيقين:
- غارت! وهل نجد فيكي مرغوبة؟
- فيكي تموت بي حباً.
- أيها المتوجه المغرور.
- تعالى إلى هنا.
- بكل تأكيد.

تقدمت إلى حيث أشار وجلست على كرسي كبير في مواجهته بحث انصب النوار كله على شعرها وجهها، وعلى فستانها الرقيق الوردي النحاسي الذي ترتديه.

قال غارت بهجة مشبطة:
- تبدين جميلة بشكل مفرط.

نظرت إلى نفسها تعذر بسرعة: «تحب الجدة الملابس الأنيقة

نظرت إليه مصدومة
 - يجب أن أطلق في حياتي غارت فأنا بحاجة إلى عمل
 - وأنا أعرض عليك عملاً
 ردت غاضبة: «حنّا؟ ولماذا؟ أظنك تريد استئصالى هنا في الوابت
 هاند». .
 لم يزعج نفسه بالإنكار:
 - وهذا أيضاً . فعندما تكونين بعيدة عن ناظري توقيعن نفسك في
 مشاكل جمة .
 - هوك هو من تصرف بشكل متطرف لا أنا
 قال بازدراء: «وماذا عن التالي؟ أعرف أنتي قادر على معانقتك
 بحرارة تقطع الأنفاس». .
 ردت بغضب وإذلال، لأنه محق: «أو لم يعجبك ذلك؟»
 - حسناً جداً . إن رغبت في قليل من الإثارة، فأنا مستعد لتوفيرها
 لك . مستعد أنا للقيام بالي شيء حتى أبشك في الطريق المستقيم
 - بات عليك!
 - سيكون وضعاً رائعـاً . أنت تعلمين أنتي، وأنا أعلمك
 - لا . ! شكرأ لك
 ارتدت على عقبها تحاول الالتفاف ولكنه لفت ذراعه حول
 خصرها.
 - ماذا تتصدين بهذه الـ «لا»، أنتها المانفة؟
 - تلقيت منك دروسـاً كافية!
 أرجعها إلى الوراء لتنقص به، ولف ذراعيه حولها
 - الحياة دروسـ كلها.
 وجدت صعوبة في مجرد التنفس، فقد عبشت رائحته في خياشيمها
 ويعشت ذراعاه إليها التثنية

- حنّا؟
 - قدر ما يلزم . سنة أشهر . سنة . أو حتى نرى بوضوح أنها
 تهدأ وتحجاوب . لقد قمت بمعجزة اليوم
 - أنت من قمت بها غارت .
 - تبدين قلة .
 - ولم لا أطلق؟ . فأنت تعرف أنتي غير قادرة .
 - لماذا؟ ليس في الأمر إثارة أو حفلات حتى الثالثة صباحاً؟
 صاحت: «أريد مساعدة أنتي ولكنك تحيرني» .
 - ظنتك راغبة في إظهار امتنانك . وما هي بضعة أشهر من عمر
 فراشة؟
 ردت بالـ: «حسناً، أعرف أنتي لم أقم بما له قيمة! إنما أنتي
 ليست أنتي . . وأظن أن كريستين ستتعترض إن توليت رعايتها» .
 - اتركي أمر كريستين لي .
 - يا للعنة!
 وبالـ لها من كلمة! مد يده فجأة يمسك معصمتها:
 - ماذا تعنين بكلماتك هذه؟
 نظرت إليه مسرة بشكل غريب: «الله أعلم» .
 طالما كان لغارت هذا السحر عليها . وهي تعرف سبب الآلـ .
 قال محذراً: «إياك أن تحاولـ بناء شيء من لا شيء» .
 - وماذا قلت؟
 - المهم هو ما لم تقولـه طفلـي .
 - إذن لماذا أنت غاضـ؟ هل أنت قلقـ على شيءـ ما؟
 وقف فجأة وقال آمراً بازدراءـ باردـ:
 - لا تقولـي المزيد . ولا تحاولـ تجحبـ الموضوع . أتريدين
 مساعدةـ أنتـا نعمـ أمـ لا؟ إماـ أنتـ أوـ مربيـةـ أخرىـ!

قالت بمرارة: «إن أردت إثبات شيء ما فتفضّل»

- صغيرتي إيف

تدفقت الدموع من عينيها بباب سخرته فأحنت رأسه:

- أريد أن أكلك... لا يأس في هذا؟

حاولت تحرير رأسها ولكنه تراجع ليستند على كتفه... كانت تستجيب له رغم الأوامر التي يصدرها عقلها، وأحيطت بضجيج في رأسها، فأغمضت عينيها، فيما الألم والشدة يختلطان في أعماقها. إنه يسيطر عليها كل السيطرة.

عجزت كل العجز عن السيطرة على النار المتأججة في أعماقها. فهمست: «لا تفعل هذا غارث».

- تعرفي أنك تريدينني.

حاولت أن تصبح «لا أعرف شيئاً» لكنه لم يسمعها... فقد كان مشغولاً في فرض سيادته عليها.

وصاحت شاهقة آخر أنفاس لها: «توقف! لا تدعيني!»

تركها لينظر إلى عينيها:

- لو توقفت عن سوء الظن لوجدت أنه لا أقوم إلا بمعاقتك... ولكن الجوع الذي أثاره فيها كان لجوجاً وضاجأ، إلى درجة الألم... - هذا أكثر!

ما زال يمسك بها وما زالت عيناه تراقبانها عن كثب... تراقبان...

تراقبان... حماداً يأمل أن يرى؟

- أرجوك عارث... قد يدخل أحدهم في آية لحظة.

- عليه أن يدق الباب أولاً... أتريدين مني حتى التوقف؟

- لقد عاشرتني بما فيه الكفاية... النساء يشعن في حبك منذ سنوات ولكنك لا تذكرت بهن

ابسم غير معذّر:
- فصاصي قادم! على أي حال... واسي نفسك بهذه النكرة... لقد
أظهرت لك أنك لست باردة... وأنا في الواقع لم أصدق فقط أنك باردة.
أعادت إهانته الثورة إلى ساقيها: «دعني أنهضر!»
- ستهفظين، ما ان تقولي إنك باقية.
- ستعارض كريستين الأمر.
مرر إصبعه على وجنتها، فارنجفت شفتها:
- أنا قادر على تولي أمرها.
فكرت إيف: أوليس هذا ما تريده؟ وأردف يقول
- إن العطر الذي تضعين منه مفر... ما هو؟
- أنا!
ولكن الوقت لم يحسن لها لتصفع عطرها المفضل... وضحك مليء
فيه:
- فليساعد الله الرجل الذي سيتزوجك! سوف تستنذرين قواه
كلها

ضرورة لا غنى عنها. ومن يعلم.. ربما في نينك التيام بلعبة على
غارث.

ردت إيف بخفة: «لن يكون لي فرصة لهذا».

- لا.. لن يكون لك فرصة.. شفاعة صغيرة حمتاه لا يمكنها
إسعاد غارث.

- وهل أنت قادرة على إسعاده؟

انتفضت كريستين وكأنها تلقت صفعمة: «أيتها السافتة».

- لا لست بلهاء، أعرف أن النساء يقعن بهوله في هوئي غارث.
لا ألومك على هذا.. بل الواقع أنتي أتفهمك وتأنسف على وضعك
ولكنك اخترت ما قد يكون زواجاً موفقاً إن أردت ذلك. العم دايد
رجل رائع.

- أكرهه!

- تزوجته لأجل ماله؟

- اعتقدت أن ماله سيعطبني ما أريد.. فقد كان والدائي خادمين
عجززين فقيرين.

- أما زالا على قيد الحياة؟

- لم أسمح للعائلة بمقابلتها.. فقللت لدايد إنهم متوفيان.
آه!

- أهذا عمل شنيع؟ لو شاهدت أمي لما نصورتها تتناول الشاي مع
الجدة.

- ولماذا؟

- لا تكوني سخيفة.. الجدة قادرة على معرفة الزيف في أي
إنسان.

- هذا إن طلب إليها ذلك.

- أمي كيس ثقيل عجوز.. كرهتها في طفولتي. كانت رنة

٦ - حضن الليل

ظل مزاج كريستين أسبوعاً أو أكثر كربها وقد تحملت إيف لذعاته
بصمت.. ولكن، لم يكن هناك من يشهد على تهماتها الوحشية
الغبيرة، فليست كريستين بغبية تخاطر بأن تدينهما العائلة.. واستمرت
الانتقادات المريرة سراً.. أحياناً بوجود أمي وأحياناً عندما يكونان على
انفراد.

وهما الآن على انفراد في غرفة أمي الجديدة أيدت كريستين مجدداً
استياءها وقالت ساخرة: «هل تعتقدين أني قد أسمح لها بالرسم؟

- قد تذهبك، فهي مرتبة.

غطت عيبيها وکأن منظر الجدران الصفراء يصيّبها بالغثيان.

- يا الله!.. ما هذه الألوان؟

- لقد اختارتها بنفسها.

- وتركتها تخatarها! وماذا عنـي؟ لا علاقة لي؟

- أهلاً بك للمساعدة.

- أمر مضحك!

بدت كريستين يائسة تردد الصباح والصرخ على أحد، ولأول مرة
استطاعت إيف رؤية الشابه بين الأم وابتها. قالت بهدوء ولطف:

- أرجوك صدقيني.. أنا أحاول تقديم المساعدة فقط.

- نعم أنت تساعدين إنما نفسك فقط.. تجعلين من وجودك

وبتهي المطاف بفيكتوريا بأن ينحطم قلبها . فمن سخلف الحدة
 ستكون امرأة مختلفة كل الاختلاف عن فيكتوري .
 همس ستان بارني في أذن إيف .
 - ما الذي يشغل تفكيرك إلى هذا الحد؟
 كان رجلاً طويلاً غير معقد، في أواخر الأربعين بدأ عيشه
 الزرقاون شاختين إلى غارت وفتكري .
 سأله ستان: «هل سينتفان في النهاية على الزواج؟»
 - لا أدرى . . . كيف كانت الرحلة؟
 - رائعة . . . ما أكثراها من امرأة! إنها جميلة وقديرة ولكنني أشعر بأن
 غارت مني أمام سحرها .
 تابعت إيف سيرها . . . فيكتوريا لم تهتم حتى الآن بوجودها .
 وهذا ما يقللها كثيراً . ففيكتوري تلعب الآن دور العروس العتيقة التي ينوي
 غارت الارتباط بها .
 بدت فيكتوريا وقت العشاء جميلة خلابة . وبدت كريستين خطيرة
 جداً . أما ستان فبدأ مهتماً بالجميع، إنها زيارته الرابعة أو الخامسة
 إلى المزرعة . . . وبا لها من مكان رائع! بدا الجنو في المنزل هادئاً مسالماً
 فالسيدة ماسترز العجوز متتصبة بشكل رائع، والصغيرات إلا إيف، كنـ
 فاتات بشكل مؤثر . . . وبعد مرافقتها وجد ستان أنها أقرب إنسان من بين
 البشر إلى الزهرة، فهي فاتنة في براءتها . كان يمكن لغارت الاحترام
 والإعجاب . . . قاريب الماشية يغيضون قوة وسلطة ولكنهم ليسوا
 جميراً بارعين ومثقفين أو كرماء بما لهم ووتقهم .
 اقتربت فيكتوريا أن يلقوا نظرة على اختلال تقليدي راقص يتبعه
 عمال المزرعة قرب البحيرة . السكان الأصليون راقصون ماهرون .
 سرت الكلمة كالنار في الهشيم بأن الرئيس وضيوفه سيكونون من
 المفترجين، وحالما وصلوا إلى البحيرة حتى تعالى هناف الترحيب .

الملابس، فيما الأمهات الآخريات رانعات المظهر أنيقات النبات .
 أما جمالى فقد ورثته عن أمي . وأمه وحده يعرف ماذارى في أمي
 - لا شك في أنه يرى فيها شيئاً . وإنما دام زواجهما .
 ناملت كريستين البساط تحت قدميها:
 - من يدرك ما الذي يديم العلاقات بين الناس! لهذا السبب شعرت
 أنتا حبيطنى . إنها تشبه أمي كثيراً .
 - لكنها تشبهك أيضاً .
 وفقت كريستين: «مستحبيل . على فكرة . هل سمعت الخبر؟
 العزيزية فيكتوري آتية مع عالم النبات .
 - ستان بارني؟
 هزت كريستين رأسها:
 - إنها تحس بالراحة مع الرجال: تركب الخيل، تطلق النار وتنفذ
 الطائرات وتطلق العنان لجوادها في أدقال الشوك . هي الآن بدون
 شك يائسة لأنها رغم ما تقوم به في رمي نفسها على غارت عاجزة عن
 دفعه إلى طلب يدها .
 - ربما تتمكن من هذا في هذه الرحلة .
 قالت وكأنها تشهد بالبكاء: «لو كنت حرة لما تمكنت» .
 وخرجت من الغرفة .
 في الصباح التالي حصلت فيكتوريا بظاهرة والدها مع عالم النبات
 المشهور . كانت ماهرة في الطيران وفي كل شيء ، ولكن غارت وحده
 من يحولها إلى ضعيفة . عندما رأتهما معاً رق لها قلب إيف الرقيق .
 فمشاعر فيكتوريا ظاهرة، واضحة بشكل يثير الشفقة: وجهها متورد ،
 فمها المكثف مرتعش وعيتها لامعتان يتصورات داخلية، ترى فيها
 نفسها مع غارت . ستدشن عظيم الدعثة لو فعل كل شيء لأن غارت
 لا يحتاج إلى امرأة، على الأقل ليس بهذه الطريقة، فهو مختلف ذاتياً

نظر سنان إلى جمال الموقع الغريب: «آه! بالمروعة!»
ابسمت إيف له: «إنه يضاعف نبضات قلبك».
ـ بالفعل.

دنا رجل مهيب من غارث فمال سنان برأسه إلى الصغيرة إيف وقال لها:

ـ إنه رجل مذهل.

سمت إيف الرجل: «إيزاكي العجوز».

ـ لا.. بل غارث.. إنه رجل غير عادي.

ـ لا..

بدأ غارث تحت ضوء النار مؤهلاً ليكون ملكاً على هؤلاء الناس.. والسبب الهالة التي تحيط به والقوة والسمو.. أمن الغريب أن تقع كريستين بعجنون في حب من له هذه الصفات؟ راحت إيف من فوق آلية اللهب البرتقالية الذهبية تمعن النظر بالمرأتين اللتين تحومان حول غارث الطويل القامة كخدامتين مطبيعتين: فيكتوريا المرتدية فستانًا واسعاً من «الجيبرسي» الأبيض سعيدة وكريستين المرتدية ثوباً أحمر باهظة.

ربت سنان على ذراعها فانتفضت:

ـ هل ضابشك ونحن في السيارة؟

ـ لا أبداً.. أفتنت سائحة الليلة، هذا هو إيزاك، الراقص الرئيسي، يرتدى ثياباً خيالية..
كان غارث يضحك على ما قالته فيكتوريا وهو يفرش بساطاً جاء به لحماية ثياب النساء الرقيقة.. بعدما وضع البساط لكريستين وفيكي دنا من إيف الواقفة مع سنان، وقال بلهجة أمراً: «هذا البساط لك يا وجه الزهرة».

وأعطاهما بساطاً صوفياً ملوناً، فسأله: «هنا؟»

ـ بل أبعديه قليلاً..
ونظر إليها نظرة حادة، أبطن أنها تخطط لشيءٍ ما مع سنان؟ لكن لا.. صحيح أن سنان أغرب إلا أنه يتنمّى إلى جيل آخر.. أخيراً جلس الجميع، وبدأ الاستعراض..
همست إيف لسان:

ـ أليست رائحة الخشب المحترق لذيدة؟

الافت فيكتوريا لتنظر إلى إيف نظرة تأيُّب متعمدة، ولا من سنان ذراعها مبتسمًا:

ـ لا كلام من مقاعد المتنزجين..

تجمع المعينين من الرجال والنساء قرب الراقصين وبادرت النسوة الغناء بصوت درامي حزين وخرج راقص من بين الأشجار وقع وسط الحلبة..

قال سنان الذي لا يستطيع السكوت كإيف:

ـ يا إلهي.. أليس رائعاً؟

ولأنه ضيف نجا من نظرات فيكتوريا المؤنة..

الصقت إيف بسان ليتمكنا من متابعة الحديث همساً:

ـ لقد شاهدت هذا الراقص يرقص رقصات رائعة..

ـ إنه بارع.. من أنت هذه الرقصة؟

التشتت فيكتوريا لتلفي على إيف نظرة مهلكة:

ـ إيف.. أرجوك!

قال سنان من بين أسنانه:

ـ يا لها من مزعجة شريرة!

قال غارث: «تعالي إلى هنا لاستطيع مرافقتك».

أنهارت تعابير وجه فيكتوريا أن هذا الترتيب لم يعجبها، فعمدت إيف إلى مضاعفة إزعاجها.. فمن تظن نفسها على أي حال؟ يا لها من

متلحرفة! إن أسوأ ما في بعض الوريات طريقةهن عندما يصمن على فرض النظام على الناس.

قالت إيف لستان: «سأكون أثراً منها وألام».

وقفت برشاقة.. إن قررت فيكتوريها معاملتها وكأنها فتاة صغيرة فستصرف وكأنها كذلك فعلاً مختارة الجلوس في حضن غارث.

وجلست إيف في حضن غارث فغضبت فيكي وكريستين غضباً مسحوراً.. مالت إيف في البداية إلى غارث جانينا ثم لم يلبث غارث أن لف ذراعه حولها، وشدّها لستند إلى كتفه.. فتهدت: «عظيم».

كادت كريستين تهاجمها بأظافرها أما فيكتوريها فتبعت الرقص وراحت ترافقهما.. وهذا مؤسف حقاً، إذ كان الجميع متذمجين مع الأداء الذي بلغ أوجه.

فعلت رائحة الخشب المحروق فيهم فعل المخدّر تقريباً وهذا ما فعله أيضاً صوات المغنيين والإيقاعيين.. لم تكن الموسيقى هادئة بل موسيقى مخصصة لدفع الأعصاب إلى اللرزق يتوتر.. هيئت تسمة خفيفة فتصاعدت معها السّنة النار.. وفي تلك اللحظة بالذات، باشرت النساء غناءً جميلاً.

أحست إيف بالرغبة تسري في أوصالها: «أوه..!

نظر غارث إليها وشد ذراعه حولها.. لم يعد من السهل الآن لعب الدور الذي أرادته.. فالتصاقها بغارث فعل فعل.. آه ليتهما هنا بمفردهما، ولكن من العبث التفكير هكذا.

قاد الليل يتصفّف، لكن أبناء زمن الحلم كانوا مستعدّين للإسترداد ساعات أخرى.

فجأة نالت فيكتوري: «علينا العودة، أردت البقاء ساعة واحدة».

حنتها إيف وهي في أحضان غارث على الانتظار قليلاً ولكن فيكتوري ازدفعت من الموسيقى والغناء الرئيبي.. «لا أفعل هذا».

قال غارث.. بيدي رغبته في البناء
ـ نكاد الرقصة تنهيـ لقد شاهدت هذا «الالية» مذ كت
طفلاً.. ولتكن لم أشاهده قط أفضل من الآن
ـ ندخل ستان، مشدوها بكل ما يراهـ
ـ إنها رائعة! إيزاك هذا يمكن له أن يثير أي مسرح في العالمـ
ـ ما هي إلا دقائق، حتى توقف الرقص وتوقفت معه الطبولـ
ـ والعصى والدندنة والغناءـ
ـ في طريق العودة إلى المنزل أثنى ستان على الأداء الكامل فسألـ
ـ إيفـ
ـ هل أستطيع الخروج معك غداً ستان؟ـ
ـ بالطبع إذا ستبيني معرفتك بالمنطقةـ
ـ أود اصطحاب أنيا معـ
ـ لم يتردد ستان: «لك ذلك»ـ
ـ بدا على كريستين الحالـة في الوسط بين دايدل وستان، الغضـ
ـ الشديدـ
ـ يستحسن ترك أنيا في المنزلـ

قالت إيف بلهفـ: «ولكنها تحب الخروج إلى الزهور البرية»ـ
ـ انقطعت عن الكلام قليلاً ثم أردفتـ
ـ بإمكانها تعلم الكثير بمرافقة ستانـ
ـ نتصدّين أن بإمكانها الوقوف في طريقـ
ـ قال ستان بعذوبةـ
ـ لن نقف في طريقـيـ أنا مهمـن بكل النباتات الصغيرة التي تنموـ
ـ في المناطق الجرداء عادةـ
ـ قال العم دايدل: «تصنيف الزهور والنباتات مهمة غير سهلـةـ
ـ كان العم يحاول إلهـاء زوجـته عن موضوعـ الطفلـة فأسرع ستـانـ

- أوه.. لا!

- أرجوك عزيزتي .. لا أريد إغضابك ، فانا شغوف جداً بك.

- وماذا فعلت يا عمي دايدن؟

- أعرف أنك لا تقصددين إزعاجها لكن كريستين تدعى أنك تحاولين تقليل قيمتها في نظر غارث.

قالت ببرصانة: «يا الله!»

: صمت العم دايدن قليلاً ثم قال:

- جرى بيتنا حديث طويل قبل العشاء.

أردف: «أعرف أن غارت طرد تلك المرأة ، وأنا صراحة مسرور بذلك. لكن كريستين استخدمتها ، وتشعر بأنها نجحت في عملها، وأسبابها وجيهة، لا أظنك تدركين كم هي سية أثينا. أتعرفين أنها كسرت مزهريه خرف «المينغ»؟

- أجل.. أعرف.

- لم تقل أمي كلمة .. وتلك المزهريه كنز لا يعوض بشمن!

- لا أعتبر.. إنما ليس في الكون من هو أهم من الإنسان.

- ماذا تقصددين عزيزتي؟

رفعت إيف عينيها الخضراءين المفروقين بالدموع.

- عمي دايدن.. لا أعلم أن ابتك الصغيرة تمعن إلى حد اليأس؟

- حبيبي .. حبيبي ، أنظليني أنتي لم أكن تعسأ كذلك؟ أتخلى عن كل ما في الدنيا مقابل كلمة منها تتقول فيها إنها تحبني ولكنها لا تتجاوز أبداً. وهل هناك من ينساك وأنت في مثل عمرها؟ كنت بهجة للنظر والنفس ، ويعززني أن صغيرتي ولدت مضطربة.

- لم تولد هكذا .. لقد عرضتها على الكثير من الأطباء الذين أكدوا أن لا عيب فيها ، هي بحاجة إلى الحب والعناية ليس إلا.

- لكتنا جميعاً نحبها.. كدت أجبن حين أصبحت أباً.. خلت أنتي

يساعده بسرد أمثلة خذلتهن الخبراء.

في المنزل أرادت فيكتوريا تناول العشاء فنالت كريستين بحفاء متصلة.

- لا شك أن السيدة كوك في الفراش.

تورد وجه فيكتوريا بسبب لهجة كريستين ولكنها حافظت على ابتسامتها.

- لا يأس في هذا! فأنا موهوية في الطبع.

- وأنا أكرهه!

- إن أفضل ما قمت به في حياتك مجئت إلى منزل الأحلام.

إنها ملاحظة مهيبة بحق كريستين فشعرت إيف بالحرج عوضاً عنها.. ثم تذكرت أنها لم تقل لأحد شيئاً عن ماضيها أو عائلتها فغضبت النظر عن ذلك.

بعد انصراف الجميع أسلك العم دايدن دراع إيف.

- هل لي أن أكلمك على انفراد.

- طبعاً عمي دايدن.

نظرت إلى وجهه الوسيم المعمر ، تفكير أن من الغريب أن يفتقر إلى الديนามيكية والتوعية ، والقوة التي ميزت شخصية أخيه في الماضي ، وابن أخيه في الحاضر.

- تعالى إلى غرفة الجلوس إذن.

بعدما جلسـا ، رفعت وجهها البريء الجميل:

- نعم؟

- لماذا تقدرين كريستين عزيزتي؟

- ولكنني لا أفعل ذلك.

- أنت تفعلين ذلك عن غير قصد.. أعرف أنك تملكتين أطيب قلب في العالم ولكن الواقع أنك تزعجينها كثيراً.

باق على عزوبين إلى الأبد .. فما من امرأة حررت عواطفني بعد حبي
الضائع سوى كريستين ..

- أوه .. عمي دايبلد!

احسنت برغبة في البكاء فعندما كان شاباً خطب ابنة عم إنكليرية ،
قتلت إثر سقطة عن الجحود وقد أحزنت المأساة جميع أفراد العائلة
خاصة العم دايبلد الذي كان يعدها . وقال وكان الحادثة وقعت
البارحة :

- صغيرتي لاورا .. !

أسكت إيف بيده فالحنين يقبل خدها .

- باركك الله .. ما زلت طفلة ولكنك تفهمين .

- أعرف معنى الحب عمي دايبلد .. وأعرف معنى أن تُحرِّم ذلك
الحب .. ستكون أبنتنا على ما يرام ، وستكون سعيدة ، وأنت كذلك .
ولكن الأمر يحتاج بعض الوقت ..

نهر العم دايبلد : «إنما هل علينا مضايقة كريستين؟ إنها بطريقة ما
منعزلة كائناً» .

أكدت له بيطره : «الهمما بعض الخصائص المشتركة» .

- لا تجدر أهلاً لرعاية أبنتنا . على أي حال ما زلت فتاة صغيرة على
العنایة بطفلتها مثلها .

قالت بسرعة : «في الواقع أحرز تقدماً واضحاً مع أبنتها فهي تحبني
عمي دايبلد .. وتنقذني ، وتعرف أني صديقتها .. لم تحرز الآنسة
بورتون تلك النتائج إلا بالإرهاب» .

- أوه .. هيا الان إيف ..

- علينا أن نتجاوز الواقع . أتعرف أنها كانت تحبسها في غرفتها
لتضييقها ..

قطب العم دايبلد ، وهو يعرف تماماً ثوابات ابنته :

- وهل كان عليها إخراجها لتسب المزيد من الدمار؟
- لقد سلبها حرمتها .. أنت تعرف الجحود البرية .. ماذا تفعل في
الأسر؟ الحرية أهم شيء في العالم .. حرية الحركة .. ولقد عانت أبنتنا
الأمرين وهي محبوسة في غرفتها ..

قال وكأنه يدافع عن نفسه : «لم يكن سجناً بالضبط» .

- بل كان سجناً ، والآن مستقل إلى الغرفة الجديدة فقد أوشكوا
على الانتهاء من طلبها ..

- لكن كريستين لا توافق ..

- لكنك تبدو موافقاً ..

- لا يمكننا إزعاجها والتغاضي عن رغباتها ..

- اللعنة على كل شيء عمي دايبلد .. أنت أبوها!

علت الحمرة وجه العم دايبلد ..

- أظنك بهذا تتبعيني يا أب مسيء ..

وضعت رأسها على كتفه ..

- لا .. لا .. أنت مصاب بخيئة أهل في أبنتها .. وترغب في عدم
إغضاب كريستين .. ولكن عليك من أجل مصلحة الجميع أن تصرف
لأنك إن لم تصرف الآن خاطرطت بإعاقتنا أبنتنا ..

- يا فتاتي الحبية .. وهل أنت قادرة على أن تحكمي؟

- أعرف عمي .. أعرف معنى البحرج الداخلي .. ولن أسامح

راكيل أبداً .. أوه .. أنس الأمر ا

نظر إليها ببرغبـ :

- أعتقد أن جبنا لك لم يعوضك عن غياب راكيل ..

- لا ..

كان صوتها رقيقاً معديناً .. فقد اضطررت منذ مقتل والدتها للجوء
إلى أي شخص طلباً للعزاء والعنایة .. كم من مرة رمت ذراعيها بذراعـ

حول عنق الجدة، ودايتش، وغارث.
سالها بهدوء.

- مَاذَا تُرِيدُينَ أَنْ أَفْعُلُ؟

- كُنْ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، سِيدُ الدِّبْلُومَاسِيَّةِ، خَفَفَ قَلْقُ كِرِيسْتِينَ، وَلَكِنْ أَزْرَنِي وَادْعُمِنِي. أَنِيتَا تُرِيدُ غُرْفَةَ نُومٍ جَدِيدَةَ، تُرِيدُ الْمَسَاحَاتِ وَالْحَرْبَةِ فِي الْمَزَلِ وَخَارِجَهِ.. قَدْ تَكُونُ الْأَمْوَارُ مُتَطْرَفَةً لِفَتَاهَةِ الْرَّابِعَةِ، وَلَكِنَّهَا حَتَّىَ الْآنَ تَجَاهُوبُ بِطَرِيقَةِ مُلْفَتَةِ الْلَّنْظَرِ. أَنَا أَنْصَرُ مَعْهَا بِعَفْوَةٍ وَهِيَ تَنْضَمُ إِلَيْهِ، وَتَرْشِدُنِي أَحْيَانًا عَمِي دَايْشَدْ. رَبِّما أَنْلَقَتِ الْمَسَاعِدَةَ مِنْ اللَّهِ.. رَبِّما هُوَ الَّذِي يَرْشِدُنِي.. أَرْغَبُ كَثِيرًا فِي الْقِيَامِ بِمَا يَسْتَحْقُ الْعَنَاءِ.. فَحِيَاتِي حَتَّىَ الْآنِ مُلَأِيَ بالفَوْضِيِّ الَّتِي يَسْارِعُ غَارِثُ إِلَىِ اِنْقَاذِي مِنْهَا.

- إِصْغِي إِلَيْ حَبِّي.. إِنَّهُ يَسْتَمْنِعُ بِهَذَا.. فِي غَارِثِ جَانِبِ رُومَانِيِّ، وَقَدْ يَكُونُ فَارِسُ أَحْلَامِيِّ.. ضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَابْتَسَمَتْ:
- هَلْ سَتَسْاعِدُنِي عَمِي دَايْشَدْ؟
- إِنْ لَمْ أَسْاعِدُكَ فَلَنْ أَكُونَ مِنْ عَائِلَةِ مَاسِتَرَزْ.. فَلَدِيَتَا فَرْسَانَ فِي عَائِلَتِنَا!

٧ - فِي أَرْضِ السَّرَّابِ

أَجْلُوا رَحْلَةَ الْاِسْتِكْشَافِ حَتَّىَ الْيَوْمِ التَّالِي بِسَبَبِ خَوْفِ أَنِيتَا مِنِّيِّ
الْجِيَادِ، فَهُنَّاكَ يَحْتَاجُونَ لِلْجِيَادِ، أَمَّا فِي الصَّحْرَاءِ فَيُمْكِنُهُمُ اسْتِخْدَامُ
الْجِيَبِ.

قَالَتْ إِيْفُ لِسَانَ: «أَنْتَ رَاعِي سَنَانِ».

ابْتَسَمَ سَانُ لِلْطَّفْلَةِ الصَّغِيرَةِ: «أَيْدَا.. تَعْجِبُنِي قِبَلَتُكَ أَنِيتَا».

رَدَتْ يَفْخُرُ: «أَرْبِيَتْهَا يَنْفُسِي».

وَهَذَا صَحِيحٌ، فَقَدْ زَيَّتْ قِبَلَتَهَا بِأَزْوَارِ مُلْوَنَةِ..

- حَسْنٌ جَدِيدًا.. هَيَا بِنَا يَا فَتَيَاتِ! هَلْ تَسْتَهِنُ سَلَةَ الطَّعَامِ؟

قَالَتْ إِيْفُ: «آهَ لَا! لَمْ تَنْسَهَا.. لَقَدْ أَعْدَتْ لَنَا كُوكُ مُلْيُونَ سَنْدُوِيشِ

وَقَدْ أَصَابَ بِالْتَّخَمَةِ إِنْ أَكَلْتَ مِنْهَا جَمِيعَهَا..

انْحَنَى سَانُ لِيَحْمِلُ الطَّفْلَةَ.

- حَسَنًا.. يَامِكَانِكَ آتَيْهَا مَاسِتَرَزْ أَنْ تَدْلِيَتِي عَلَىِ الطَّرِيقِ.

كَانَ يَوْمًا مُشْرَقًا جَلَسَا فِي أَحْضَانِهِ هَاتَيْنِ.. وَفِيمَا كَانَ سَانُ يَسْجُلُ مَلَاحِظَتَهِ وَيَرْسِمُ رَسْمَاهُ وَيَجْمِعُ النَّمَادِيجَ لِلْمَعَايَةِ كَانَتْ أَنِيتَا مُنْحَيَّةً فَوْقَ الورقةِ الْبَيْضَاءِ السَّمِيكَةِ تَرْسِمُ بِدُونِ تَرْدِيدٍ.

بَيْنَ الْفَتَيَةِ وَالْفَتَيَةِ كَانَتْ أَنِيتَا تَنْظَرُ إِلَيْ إِيْفِ لِتَرَى وَرَدَةَ فَعْلَاهَا عَلَىِ الرَّسْمِ، وَلَكِنْ إِيْفُ كَانَتْ تَبْسِمُ بِدُونِ تَعْلِيقٍ.. لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ تَقْوِيمُ رَسْمِ أَنِيتَا، إِلَّا بِالْقَوْلِ إِنْ هَذِهِ الصَّغِيرَةُ ذَكِيَّةٌ.

حين رأى ستان رسم أنيتا المعتقد صاح
ـ يا إلهي !

قالت إيف باعتزاز : « عرفت أنك ستبدي اهتماماً »
لم يسجل وجهه الاهتمام فقط ، بل الذهول أيضاً
ـ إنها طفلة موهوبة .

قالت أنيتا : « لم يعلمني أحد » .

قال ستان : « يا لك من فتاة تثير العجب » .

بعد ظهر ذلك اليوم قلب الجدة صفحات الدفتر الأبيض تتأمل
رسمات أنيتا الملونة واحدة واحدة . ثم قالت بدهشة ورجاء : يا رب
العالمين » .

ـ أليست رائعة جدتي ؟

ـ أمسكت الجدة بدإيف .

ـ وأنت رائعة أيضاً . تذكرني أنيتا ما كنا نعرف موهبتها للولاك .

ـ لا يعود الفضل إلي ، فقد ورثت أنيتا قدرتها عن أمها .

ـ لكنك من اكتشف هذه المعجزة الصغيرة . فاحترمي قدراتك .
فلقد نجحت حين فشل الجميع . أنت الوحيدة التي تمكنت أنيتا من
التعامل معها . لا تظنين أني لم أحارو يائة . أنيتا الآن أسعد حالاً

ـ جدتي .

ـ ظهرت كريستين في باب غرفة جلوس الجدة وعلى وجهها غضب
شديد .

ـ نعم عزيزتي ؟ (قالت الجدة)

ـ من وضع ميا مسؤولة عن أنيتا ؟

ردت إيف دهشة : « أنا » .

ـ يا فتاني العزيزة لن أقبل أن تتعني ميا بآبائنا .
ـ سألت الجدة : « ولم الرفض عزيزتي ؟ »
ـ لن أتخلى عن ابنتي لجاجة صغيرة نصف متوجحة .
قالت الجدة بهدوء :
ـ لا يا كريستين . ميا تعلمـت هنا في المزرعة . إنها فتاة ذكية
طيبة ، ويجزئني ما أسمعه منك من انتقاص لشأنها .
ـ لقد تعلمت أن السوديين !
ـ سألت الجدة ببرود حاد : « من علمك ؟ »
ـ لوحت كريستين بيديها في الهواء بعصبية .
ـ علمت الجميع ذلك ، وما زلت أذكر ذلك الراءـي المجنون .
ـ إن كنت تذكرته فهذا يعني أنيت تعرفيـن أن الورم الدماـجي الذي
قتلـه كان بسبب ضربـة حادة أثرـلها به أحد جـيـادـنا . نحن نعتمد كثيراً
على أهلـالـبلـادـالـذـيـنـيـعـلـمـونـبـعـامـسـةـلـترـقـيـوـتـزـدـهـرـالـراـيـتـهـاـنـدـ .
ـ الغـرـورـقـتـعـبـنـاـكـرـيـسـتـيـنـالـسـوـدـاـوـاـنـبـالـدـمـوعـ،ـلـيـسـنـدـمـأـبـلـغـضـبـاـ
ـوـإـحـيـاطـاـ .
ـ آنسـةـجـدـتـيـ .ـأـنـاـبـسـاطـةـلـاـأـرـيدـأـنـنـرـعـنـتـلـكـالـسـوـدـاءـابـتـيـ
ـالـوـحـيـدـةـ .
ـ فـيـهـذـهـحـالـةـعـزـيزـتـيـ .ـكـوـنـيـأـنـتـمـسـؤـلـةـعـنـهاـيـشـكـلـمـباـشـرـ
ـخـرـجـتـكـرـيـسـتـيـنـوـالـشـرـرـيـتـاـيـرـمـنـعـيـبـهـاـ .ـأـمـاـجـدـةـفـوـضـعـتـ
ـوـجـهـهـاـبـيـدـيـهـاـ.ـأـمـاـذـاسـتـغـلـ؟ـ

ـ أـلـنـيـيـصـحـبـالـعـمـدـاـيـقـدـكـرـيـسـتـيـنـفـيـإـجازـةـ؟ـ
ـ لـاـ .ـلـنـيـعـدـشـيـ .ـدـايـقـدـعـنـالـراـيـتـهـاـنـدـالـتـيـنـكـرـهـاـزـوـجـهـ .
ـ لـاـ أـحـدـيـكـرـهـ الـراـيـتـهـاـنـدـ .ـقـدـتـجـدـهـاـمـوـحـشـةـرـبـماـ .
ـ تـهـدـتـالـجـدـةـ :ـ«ـرـبـماـلـيـسـهـنـاكـبـدـيلـمـعـذـلـكـ .ـمـاـعـزـيـنـيـهـوـ
ـأـنـيـقـادـرـةـعـلـىـمـحـادـثـكـإـيفـ .ـأـنـتـمـعـاـنـلـةـوـيـمـكـنـيـالـوـنـقـ

- هل أخذت ميما من الغرفة ممتة لها. أما كريستين فطلت نصراخ
 - تريدين أن يكون لك سلطة؟ اللعنة عليك لا تلقي الأوامر أبداً
 أثناء وجودي !
- قالت إيف مرة أخرى بهدوء :
 - أنت، لماذا لا تلقي نظرة على الدهان لمعرفة ما إذا جف
 لم تكون الدموع التي سرت على وجهي أنتي دموع طفلة
 - كنت سيدة إيف .. أنا شريرة، سيدة، قبيحة ..
 - بإمكانك إيقاف هذا متنى شئت .. أنت إنسانة تنمو .. وأنت
 مستعدة لتكوني مسؤولة عن نفسك .. لك أن تبكي أو تصرخي أو تتعلّم
 ما أطلب منه .. القرار يعود إليك .
- نظرت أنتيا إليها بعينين ملؤهما الألم، وقالت :
 - نمة أشياء كثيرة أقوم بها ..
 - أجل .. ويمكنتك الخيار ثم اتخاذ القرار .. لك أن تكوني شريرة
 أو خبيرة ..
- قالت أنتيا بهدوء :
 - سأتفقد الدهان .. لن أسمح إلا لك أنت بدخول غرفتي
 الجديدة ..
- بدأ على كريستين الت Kraume و الغيرة :
 - أراضية أنت الآن ؟
 توسلت إليها إيف ..
 - أرجووك أهدني ! ثمة شيء ما أريد أن أريك إيه ..
 هزت كريستين رأسها بحدة :
 - قدرت على تحملك في طفولتك إيف أما الآن فأعترف أني لا
 أحبك أبداً ..
 - ولم تذكر هبنتي ؟ ماذا فعلت ؟ ما زلت الشخص نفسه ..
- هل أخذت بكريستين ؟
 - لن يضريرها الاهتمام بطفلتها ..
 - سأذهب حالاً .. فكرنا أن نربيها الرسوم ..
 أمسكت كومة الرسوم : «خذليها الآن» ..
 كانت أنتيا تصرخ في غرفة الدرس ..
 - أكرهك .. أكرهك .. أكرهك !
- هرعت إيف لتسمع في الوقت المناسب دوي صفعة حادة :
 - أيها الفتاة الصغيرة القبيحة الغبية !
 وقتلت إيف في الباب مصدومة .. فقد بدت ميما مرعوبة، وأنتيا
 غاضبة وعلى وجهها بقعة أما كريستين ذكانت تتحمّل فونها وكأنها تهم
 بصفتها من جديد ..
 صاحت إيف : «كريستين» ..
 ردت بغضب شديد :
 - إذن أنت هنا .. أليس كذلك ؟ ما أشد ما كنت حمقاء عندما
 أذعنت إلى طلب غارث ! فلا فائدة منك في رعاية أنتيا !
 لم تستطع إيف مقاومة السؤال : «كيف ؟» ..
 - إنها تصرخ في وجهي كحيوان متوجس !
 التفتت إيف إلى الفتاة السوداء المرعوبة :
 - اذهبي الآن ميما ..
 صاحت كريستين كالمحجونة :
 - من يعطي الأوامر هنا .. ؟ أنا أكبر منك وأنا السيدة دايبلد
 ماسترز !
- قالت إيف بهدوء : «شكراً لك ميما» ..
 - حافظي يا آنسة ..

نظرة.. لقد رسمتهااليوم.. واعتقدت أنها وستان أنها ممتازة
- بالنسبة لمسكينة مثل أنتا كما أظن.
أدانت كريستين ظهرها متعمدة، وبهذا أدانت ظهرها لابتها.

في الصباح، اكتشف أحدهم أن فرساً ثميناً اختفت، وهذا ما سبب
اضطراباً. حين عاد غارث إلى المنزل ليأخذ يدققته ساته الجدة: «ماذا
يجري؟ مَاذا حدث؟»
- اختفت الفرس كولومبيا.
لحتقت به فيكتوريا برشاقة:
- أخذها على ما نظن جواد بري.. وعلينا أن نبحث عنها.
نادت إيف عن الدرج: «هل لي بمراجعتكم؟»
نظرت فيكتوري غارث: «لكنك سمعتني طريقة،رأى بعض
الأولاد الفحل، إنه أكبر من أن يكون جواداً برياً»
أصررت إيف: «أرجوك غارث».
هز رأسه باللذعة!
- حسن جداً.. ستر في كل صوب وحدب أما أنت فستبقين
برفقي.
لاحظتني فكتوريا في أنتا، ولا حظت الجدة هذا، وقالت:
- لا تقلق على أنتا عزيزتي.. في المنزل ما يمكن من نساء للعناية
بها لبعض ساعات.
قال غارث متوجهما:
- قد يستغرق الأمر وقتاً طويلاً جدتي.. إذا كان هو الفحل الذي
تفكر فيه، فهذا يعني أنه شرير فقد هوجم جواد أليف بعنف، ووجد
كريك فحلاً برياً ميما منذ ستة أسابيع..
قللت الجدة: «حدار إذن».

ابسمت كريستين ابتسامة ساخرة غريبة.
- لا، ما عدت الشخص نفسه.. فحتى العزيزة فيكتوريا لم تسلم
منك.. كانت تمثلية رائعة تلك التي قمت بها مع غارث ليل أمس..
- لا أنهم..
- بل نفهمين! أعتقدين أن امرأة لا تعرف ماذا في نفس الآخر؟
خاصة إذا كانت تحب.. وأنت تحبين غارث.. أحببته في طفولتك إذ
كان بالنسبة لك الشجاع والوسيم المفعم بالحياة.. ولكن الأمر مختلف
الآن.. لقد اكتشفت الجاذبية واكتشفت الإثارة وهم شيطان لم
تدركهما من قبل.. أنت لا تحبين غارث فقط، بل تموينيه بـ حباً.
قالت إيف بهدوء: «هل لنا العودة إلى موضوع أنتا؟»
- إذن.. أنت لا تذكرين ما قلته.
قالت بخفاء: «وهل مستعددين قولي؟ على أي حال كريستين..
فيكتوري وغارث متفقان على أتم وجه».
- هذا ممكن، لكن ما تملكه، لا بهم كثيراً وجلاً مثله.. أتخالبه
لا يتزوجها لو كان يحبها؟
ربما يريد أن يعرف ما إذا كان قادرًا على القيام بالعمل، فليس من
السهل إدارة مزرعة وإبقاء الجميع سعداء.. على المرء أن يمتلك اللمسة
المناسبة..
لقد أعيجها ما فعلته بها ليلة أمس، تعصبيين غارث، وسرقين
اهتمامه كله.. إنه ينظر إليك كطفلة جميلة، أو شقيقة صغيرة..
أريد فقط أن تلقي نظرة على رسومات أنتا.. فلا يزيد إياها..
ولكن كريستين كانت قد ارتدت على عقبها.
- أنا واثقة أن في الرسوم لستك.
حاولت يائسة أن تكتب اهتمامها:
- كريستين، أنا لا يمكنني أن أرسم حتى دائرة.. أرجوك أقفي

ما هي إلا عشرون دقيقة حتى انطلقت سنة فرسان متنفسين الأثر الأسود

سارت فيكتوريا إلى جانب إيف تحدّثها:

- لا أنهم سبب مجيكك، فاللصوص تزداد حرارتها مع نقدم النهار.

- لن أذوب.

نظرت إليها فيكتوريا نظرة ملؤها الكره:

- لا أغلقك ستحملين المسافة.. فأنتم لم تركمي الخيل منذ مدة.

ولن تتمكنى من المواجهة كفحة صغيرة حين تولمك عظامك.

قالت إيف بحده: «لا تقلقي على فيكي، أنا أشد عوداً مما أبدو عليه».

نظرت إليها فيكتوريا نظرة إشراق:

- حقاً؟ كلما أتيت إلى المزرعة قمت بعمل أحمر.

سألتها بلو:

- أليس هناك من لا تنتظرين إليه على أنه أقل منك شأن؟ قد أكون القريبة المسكونة الفقيرة، ولكنك تلاحظين أن العدة وغارث لا يعاملاني على هذا الأساس. وإن استمررت في الانقضاض على بكلماتك القارصة أقسم أن أغزيرهما.

نظرت فيكتوريا بدهشة واستغراب:

- آسفه لأنني أغضبيتك.. لم أقصد ذلك.

- يجب أن تبذل المزيد من الجهد لتكوين لطيفة!

وأبسمت لها بعذوبة، وانطلقت متعددة عنها.

وقت الضحى، التقدوا بجواردين هاربين. قال غارت وعيناه ضيقتان بسبب وهج السراب:

- إنهم أخوان، من أب واحد ولكن من فرسين مختلفتين.

سألت إيف التي تذهلها دائمًا رؤية العجائب البرية الرائضة.

- أليس غربياً كم يشبهان بني البشر؟ إذ تشعر الخيول حتى يصلها الفروس كحالنا نحن. إنها تحب، وتخلص، وتغار.. الذكور تسيطر على الإناث، وغريزة الحماية لدى الذكور قوية جداً.. والفحول تميل إلى نوع معين من الأفراس.

قاطعت فيكتوريا تعجب إيف بحده:

- إنهم يبتغلان في منطقة ذلك الفحل.

رد غارت: «لا نعرف إن كانت هذه المنطقة منطقته.. قد نجد عدة فحول شبيهة به في هذه المنطقة، ولا نعرف من منها أخذ الفرس كولومبيا».

قال العم دايقد:

- لكن كبرك والشباب وجدوا الجواد الميت غير بعيد عن هنا.. ولا شك أن معركة ضارية وقعت بينهما، فالفحول عادة لا تحاول تجاوز الحدود.

قال غارت متوجهما:

- تجاوز ذاك الفحل هذه المرحلة.. لا شك أنه فعل أحمر متشرد وقوى ومتواوح.. وإن حاولت الفرس العودة إلى منطقتها فقد يرذلها مصرأ على ضمها إلى رعيه.. وهي فرس ثمينة جداً.

قال كونواي، المراقب الأسود، الذي انضم إليهم، مريحاً جواده كالآخرين:

- قد يقودنا هذان الجوادان إلى الفحل!

- ربما.. فهم لا يبدوان قويين أو عديلين لتحدي فحل مسيطر.

خلع كونواي قبته ومسح العرق عن جيبته بظاهر كتفه:

- على أي حال، حدث هذا من قبل يا معلم.. لقد هزم جوادان فتيان فحلاً متواحشاً.

- إن كان هو الفحل الذي أخذ كولومبيا، فلا أمل لهما.. فهم

«الماهوغوني» أما عرقه وذيله فأسودان.
في تلك اللحظة بالذات، خرج أحد الرعاة من بين الأشجار
كالمصاصـة . فصاح غارت: «اللعنة»،
وكان أن ذعر الجوادان والفرس

- أوقف ذلك المغفل الأحمق، هيا كونواي!

إنهم الآن في أرض تغلي فيها الماء وتحيط بها الصحراء ومتـراـزـ
الموقف سوءاً، الحرارة غير الطبيعية. بدت السهول المقطعة بالأـزـهـارـ
المتماـبـلـةـ والبارقةـ في ظـلـ الـسـرـابـ الغـصـنـ مـسـطـحـةـ وـغـيرـ مـحـدـودـةـ ولـكـنـهاـ
كـانـتـ فـيـ الـوـاقـعـ أـرـضاـ مـتـحـرـكـةـ،ـ تـنـصـلـ بـأـرـضـ أـعـلـىـ مـنـهاـ مـفـطـةـ
بـالـقـصـبـ.

صاح غارت يطلب التوقف:

- إنـهاـ فـيـ مـكـانـ مـاـ هـنـاكـ،ـ وـهـنـاكـ أـيـضاـ الفـحلـ وـرـعـيـلـهـ (ـجـمـاعـهـ).ـ
قالـ العـمـ دـايـفـ:ـ «أـشـكـ فـيـ آنـ نـقـبـ عـلـيـهـ الـيـوـمـ».ـ
ـ سـيـخـرـجـونـ آخـرـ الـأـمـرـ طـلـيـاـ لـلـمـاءـ.
رفـعـتـ فـيـكـورـيـاـ قـبـتهاـ،ـ وـمـرـتـ يـدـهاـ فـيـ شـعـرـهاـ الأـسـوـدـ القـصـيرـ:
ـ أـظـنـاـ بـحـاجـةـ إـلـىـ حـمـامـ سـرـيعـ».

قالـ غـارتـ:ـ «يـبـتـشـيـ حـدـسـيـ بـأـنـ غـيرـ بـعـدـ عـنـاـ»،ـ
الـفـتـ إلىـ إـيـفـ فـلـاحـظـ وـجـهـهـاـ المـتـورـدـ:ـ «ـمـاـ يـدـكـ إـيـفـ؟ـ»،ـ
ـ لـاشـيـ»،ـ
ـ وـلـكـنـهاـ كـانـتـ فـيـ الـوـاقـعـ مـتـائـلـةـ.
قالـ العـمـ دـايـفـ:ـ «ـيـسـتـحـسـنـ توـقـيفـ المـطـارـدةـ غـارتـ»،ـ تـبـدوـ إـيـفـ
ـ مـتـعبـةـ».

- لـستـ مـتـعبـةـ!

قالـتـ فـيـكـورـيـاـ يـلـطفـ:ـ «ـلـاـ تـنـزعـجـيـ يـاـ عـزـيزـتـيـ مـنـ الـاعـتـارـافـ،ـ فـنـدـ
ـ صـمـدـتـ بـشـكـلـ رـائـعـ حـتـىـ الـآنـ».

أشـفـرـ مـنـ أـنـ يـتـدرـأـ عـلـىـ هـزـبـتـهـ أـوـ عـلـىـ الـأـسـبـلـاـ،ـ عـلـىـ رـعـبـهـ مـنـ
ـ الـإـنـاثـ.ـ عـلـىـ أيـ حـالـ،ـ قـدـ يـبـرـزـ النـحـلـ لـيـعـدـهـمـاـ عـنـ مـنـطـقـةـ شـنـوـهـ.
ـ وـفـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ،ـ تـكـونـ بـالـانتـظـارـ.

قالـتـ إـيـفـ مـتـحـجـةـ:

- لـنـ تـقـتـلهـ غـارتـ،ـ أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟

- سـأـعـرـفـ ذـلـكـ فـيـ الـوقـتـ الـمـنـاسـبـ.ـ كـانـ سـهـلـاـ عـلـىـ أـخـذـ
ـ كـوـلـومـبـاـ وـسـيـعـدـ لـيـأـخـذـ الـمـزـيدـ مـنـ الـأـفـارـاسـ وـهـذـاـ مـاـلـ أـتـاسـمـعـ بـهـ.

- أـلـاـ يـمـكـنـ إـيـعادـهـ؟

ردـيـدونـ تـرـددـ:

- لـاـ..ـ سـنـسـيرـ عـكـسـ اـتجـاهـ الـرـيـحـ لـنـرـىـ مـاـ سـيـحـدـثـ.

قالـتـ فـيـكـورـيـاـ إـيـفـ بـعـدـ اـنـطـلـاقـ الـرـجـالـ:

- لـمـاـذـاـ لـاـ تـعـودـنـ؟ـ قـدـ يـكـونـ هـذـاـ عـمـلـ أـعـنـفـ مـاـ تـظـنـينـ.
ـ نـظـرـتـ إـلـيـهـ إـيـفـ بـعـيـنـيـنـ بـارـدـيـنـ:

- مـاـ ظـنـتـهـ رـحـلـةـ إـلـىـ حـدـيـقـةـ..ـ هـيـاـ بـنـاـ،ـ فـلـتـلـحـقـ الـرـجـالـ.

ـ كـانـتـ مـسـافـةـ طـوـيـلـةـ قـادـهـمـ إـلـىـ مـسـتـقـعـاتـ خـيـاـلـ فـيـ جـوـادـانـ فـرـساـ
ـ صـغـيرـ لـهـمـاـ.ـ قـالـ غـارتـ:

- هـذـاـ هـوـ الـمـطلـوبـ..ـ سـيـلـتـنـطـ النـحـلـ رـانـحةـ الـفـرسـ الصـغـيرـةـ
ـ وـيـأـتـيـ فـيـ طـلـبـهـ وـهـيـ كـسـتـانـيـةـ أـيـضاـ..ـ صـحـيـحـ إـنـهـاـ لـاـ تـمـاـنـلـ كـوـلـومـبـاـ
ـ جـمـالـاـ وـلـكـنـ لـوـنـهـمـاـ وـاـخـدـ.

ـ كـانـتـ إـيـفـ تـنـأـيـ الـفـرسـ الصـغـيرـةـ عـنـ كـثـبـ..ـ وـقـالـتـ:

- وـكـانـمـاـ طـرـدـهـ أـبـوـهـاـ..ـ إـلـاـ كـيـفـ وـجـدـهـ هـذـاـ جـوـادـانـ؟

ـ قـالـتـ فـيـكـورـيـاـ:ـ «ـرـبـعـاـ هيـ إـبـةـ ذـلـكـ النـحـلـ نـفـسـهـ».

ـ كـانـ غـارتـ يـحـدـقـ إـلـىـ الـفـرسـ الصـغـيرـةـ الرـانـحةـ ذاتـ الـجـلدـ
ـ الـكـسـتـانـيـ وـالـعـرـفـ الـبـيـنـ الـأـحـمـرـ كـذـلـهـاـ

- لـاـ أـظـنـ هـذـاـ..ـ أـظـنـ أـنـ لـوـنـ الـفـانـلـ أـحـمـرـ قـاتـمـ كـلـوـنـ خـشـبـ

- لا أظن أن أحداً منا يريد هذا.. ثم أنا أحب الأطفال.
فكرت فيكتوريا في نفسها: «أتحب الأطفال حقاً؟ لو كان ذلك
صححاً لزوجتني منذ زمن بعيد.. اللعنة، أصبحت في الثامنة
والعشرين ولن أقبل أن تتحول بيتنا فتاة نكرة جميلة.. يبدو أن أمها
أرسلتها إلى المزرعة في الوقت المناسب.. ولكن كيف تفرقهما
وغرارت على ما يبدو مغرياً بها حقاً».

انتشرت فيكتوريا من أنكارها عودة الجياد الثلاثة إلى الظهور. في
المقدمة الفرس الصغيرة، والجحودان في إثراها. كانا حتى الآن
يتشاركان الفرس الصغيرة، ولا يسمحان لها بنسخ صداقتهما الجميلة.

همس كونواي في إذن معلمته:
ـ والآن.. ماذا ستفعل؟

ـ ستحافظ على هدوتنا وترقب ما هو قادم.
لم يطل الوقت.. ففي ما كانت الجياد الفتية تشرب، ظهر فحل
من بين الأشواك البرية وأشرف عليهم من أرض مرتفعة، وهز عرفة
السميك الأسود.

كانت معظم الجياد البرية التي شاهدتها إيف في حياتها غير
مؤذية.. أما هذا فبدا قوياً، مخيفاً، ينظر إلى الجحودين نظرة مهلكة.

همس كونواي: «ها قد وصلت المتابعة».
وسرعان ما بدأ الشهد فقد صهل الفحل ضهلاً عظيماً ثم توجه
 نحو الجحودين اللذين حاولاً ضربه من الجانبيين ففشلوا لأنهما لا
يصادفانه قوة وقد تلقى كلاهما ضربات موجعة حتى تراجعاً مدميين.
عندئذ لم يبق أمام الفحل إلا التناقض الفرس ليضمها إلى رعيته.
قال غارث: «أراهن أنه ضالتنا».

تمتم العم دايثلد: «حيوان عظيم ولكنه شرير».
قالت إيف: «يا للفرس المسكينة لقد أخضعمها الآن».

قال غارث مقرراً: «ستريج إذن. هل تريدين العودة إيف؟»
رفعت رأسها بعناد: «لا، لا أبداً».

قالت فيكتوريا: «لا أستبعد وقوفك عن صهوة الجواد».
ردت عليها: «سأقع بالتأكيد إن اعتمدت عليك».

امتنع وجه فيكتوريا وبدت غاضبة، ولكن ما إن همت بالكلام حتى
منعها غارث بقوله:
ـ ستناول المسير حتى بركة الماء».

ما إن وصلوا إلى البركة المشودة حتى انهمر المطر الذي تابع
تدفقه مدة ربع ساعة، اختبأوا فيها تحت أشجار عجت بعصافير تنشر
أجنحتها، وتتفوض ريشها المبلل وتندادي بعضها ببعضًا.

توقف المطر بسرعة وانفتحت الغيوم أما الهواء فأصبح أبداً
خلعت إيف قبعتها، فالتصقت خصلات شعرها المبللة حول
 وجهها كظاهرة ذهبية مشعة.

قالت إيف: «أليست راححة الهواء سماوية؟ إن أكبر دور العطورة
في العالم تمنى لو تعنى هذه الراححة في زجاجات لتبיע الأونصة منها
بشرة.. وهذا نحن لا نفتر إلى دفع سنت واحد!»

علقت فيكتوريا، وقد أحبطها جمال الفتاة المميز:
ـ خلتك لا تحبين الطبيعة؟

لم ترد عليها إيف.. فقد مد غارث يده، وكأنه لم يستطع
المقاومة، وأمسك خصلة ذهبية لقها حول إصبعه.
ـ يا له من شعر غريب! تبدين طفلة.

حاولت فيكتوريا المزاح بعدما حطت عليها عينا العم دايثلد
الماكر ثان: «ـ هذا من نصف حظك!

قالت له إيف: «إن كان لا يعجبك فسامله».

قال العم دايدش بقلق:
 - حسناً... ماذا ستفعل؟ هل تخفي هنا لتعاود انتقام أثراها في
 الصباح؟

لم يعترض كونواي على المبيت ليلة تحت النجوم فقال:
 - لقد قطعنا هذه المسافة... ويدو أن كولومبينا لا تزيد الذهاب
 همت إيف:
 - وهو يجد لها ثيبة جداً إذ يكاد يخاطر بياتانه الأخرىات... وبما فيه
 ما هو جيد على أي حال.

ما هي إلا لحظات حتى تخلى الفحل البري عن ليه فعرض
 كولومبينا عضة مؤلمة جعلتها تundo أمام خاطفها. أخذت إيف بحلقها
 بحفر وهي تراقب هرويها المجنون. كانوا متفوقين ومن الواضح أنهما
 سيلحقان بيقية المجموعة البعيدة.

زغر غارت أنفاس إحباط وسخط، ثم التفت إلى عمه.
 - رافق الفتاني إلى المنزل، أما أنا وكونواي فستبقى.
 ردت فيكتوريا بصوت ملؤه الثقة بالنفس:
 - أنا على ما يرام، أما إيف فأظنهما اكتفت.
 ولكن إيف أكدت: «أوانا بخير أيضاً».

ابتسم العم دايدش:
 - بصرحة، أنا لست بخير، ظهري يؤلمني جداً.
 وضع غارت يده على كتف عمه:
 - كان يجب أن تقول هذا. غادروا الآن حتى تصلوا قبل الغروب،
 وقل لكيرك إتنى لن أحتجاجه في الصباح.
 التفت عينا العم يعني إيف. وقال كأنه يقرر أمراً واقعاً: «الآن
 ترافقيني إيف؟»

قالت فيكتوريا بطفف: «لا تكوني محرجة إيف فقد صمدت

- سنهلهمما الوقت حتى يستقرار، ثم نرى بعد ذلك.
 انطوى الجميع فوق جيادهم ليخرجوا من بين الأشجار الملونة هنا
 وهناك.

همست إيف حالما وصلوا إلى أعلى التل:
 - إنها هناك.

قال كونواي: «كولومبينا في الوسط».

قالت فيكتوريا: «كم سأستمع بما سيحدث».

نظرت إليها إيف بحيرة:

- صحيح؟ أنا لا أريد رؤية الفحل يقتل.

- إن لم يقتلته خسر غارث المزيد من الأفراس الثمينة.

فاطمهمما غارت: «يا إلهي! ستغير الريح اتجاهها».

نظر كونواي إلى أغصان الشجر:

- هذا ما يبدو لي... تبا، تبا.

رفع الفحل المتوجه رأسه المتعجرف كردة فعل على الراحلة
 التي حملها إليه الهواء... وقف لبرهة في مواجهة مختفهم... ثم صهل
 محدراً رعيه.

خوفاً من سيطرة الذكر المتسلط، أطاعت الأفراس الإشارة
 باستثناء كولومبينا والفرس الصغيرة. لكن الفرس الصغيرة الغربية
 تلقت عضة مؤلمة في ذات فرارها... ولكنه لم ينهج هذا المنهج مع
 الفرس الكستانية الجميلة بل عوضاً عن ذلك اتخذ وقفة سوق القطيع،
 وأخذ يلوح برأسه الرافع مدبررأ رأسه في جميع الاتجاهات وكأنه أعمى.
 أدهش لين الحيوان وصبره مع الفرس كولومبينا غارت.

- إن لم يعضاها الآن شئت رعيه.

كانت الأفراس الأخرى تركض كالمحجونة نحو ثلة بعيدة ترتفع
 على شكل قبة عن السهل الواسع.

أوشكت إيف على القبول بالعودة لا بسبب رغبتها في ذلك بل بسبب أنتا . ولكن تعبير وجه فيكتوريا الخبيث محا كل تفكير في الواجب من رأسها .

- عمي دايبلد لقد مضى علي زمن طوبل منذ أن خيمت في العراء .

هز رأسه : «حسناً يا عزيزتي انتبهوا لأنفسكم جميعاً .

احتجت فيكتوريا عابسة بعد انطلاق العزم دايبلد :

- لماذا لم تعودي ؟

ردت إيف : «وكأنك تحاولين التخلص مني » .

قالت فيكتوريا بسرعة عندما شعرت بمعنوي غارث عليها :

- لا... لا... أنا أذكر فقط في مصلحتك . ستشنج عضلاتك غداً .

قال غارث بعنوية : «فيكي أنت تقللين من قدرة إيف التي تملك دائمًا طاقة إضافية غير مرئية » .

- حسن إذن . لن أقلق عليها بعد الآن .

ووجدت إيف صعوبة في النوم بسبب تعبيها وألم رأسها . عادة كان المبيت في العراء يرسلها فوراً إلى نوم عميق ولكنها هذه الليلة راحت تتقلب باضطراب وكان عواء كلاب «الدينغو» المتوجحة ي擾قها ، وتشخير كونواي يزعجها .

همست للجسد النحيل القريب من يدها : «غارث» .

- لا تقولي إنك غير قادر على النوم .

- لا .

ماتت إليه الليل تزعج فيكتوريا التي هفت بسرعة مدخلة . مد لها يده كما يمددها لأبي طفلة متعبة .

- أيتها الفتاة الصغيرة السخينة !

ولكن ، ما إن التقت أيديهما وتشابكت ، حتى أدركت ما بها .

إنها ترید المواساة ، والإحساس بأحضان غارث .

قال لها مهدئاً : «تعالى إلى هنا» .

زحفت ل تستلقي بجانبه : «يؤلمي وأسي» .

- لماذا لم تذهب برفقة دايبلد عوضاً عن ملاحقني ؟

همست بغضب : «أنا لا الأحقك» .

- ألا تلاحظيني ؟ ... هنا استلقي على كتفي

ابتسمت : «أصح فقط إلى شخير كونواي» .

لف ذراعه حولها، يريحها إلى جانبِه:

- إنه نوم المرهقين وقد سمعت فيكي تشعر أيضاً.

كان قلبه يخفق تحت ذنثها بشدة:

- يا إلهي.. خلتها مدرية جداً.. يستحسن بي العودة إلى مكانِي

قبل الصباح، فلديك امرأة غبورة هنا.

- أهدني وأصمعتي.

- حسناً.

حركت رأسها عدة مرات قبل أن تجد المركز المريح له:

- هل انتهيت؟

همست: «تصبح على خير غارث».

- تصبحين على خير يا وجه الزهرة.

استلقيا فترة طويلة بصمت وكانت موجات وموجات من القلق
تعبر جسد إيف الغض الجنابي. كان لغارت تأثير ساحر عليها في
الطفولة أما الآن فقد وقعت في حبه.

- القمر شاحب.

- أصمعتي!

لم يكن هناك مجال للخطأ في لهجته المتنوّرة أو في جسده
المتنج.

- ما هو هذا الطائر؟

حركت أنفاسه الدافئة حوصلات شعرها: «ألن تستقرّي؟»

- لا أظن.. أحس بالغرابة.

استلقي على السرج الذي يستخدمه كمسند رأس.

- آه..!

فتحت: «أتكلم دائماً في الوقت غير المناسب».

- أفلتك ستبيّن هكذا حتى أتبلّك لتنامي.

- أنت مجنون!

كان توبخاً مرتاحاً، فوضع يده تحت ذقنها برفعة:

- هذا ما تقوليه دائماً ولكن الواقع أنتي أغراك إيف

هددته: «ماذا سيحدث إن استيقظت فيكتوري؟»

- لن نصدر صوتاً.

وضع فمه على وجنتها وكأنه يداعبها، فتأوهت بصوت منخفض

وكأنه يدعّيها، واستدارت فضمها إليه ليصبح جسدها الصغير اللين

ملتصقاً به.

جنون!

غارث..

أنت لي!

كان رده هاماً ولكن فيه مشاعر كثيرة كادت تخرج قلبها من بين

ضلوعها.

لا..

ما زالت ترفض الاعتراف حتى وجدتها يكشف عبوديته..

نعمت مرة أخرى: «أريد تعذيبك قليلاً».

وهل هناك طريقة أفضل من هذه؟ هي ملتصقة به ضحية الرغبة..

ويده تملئ ظهرها.. وتحس في نفسها إثارة كانت حتى هذه اللحظات

خفية عنها؟

قالت متسللة: «أخبرني... أخبرني لماذا تربّد تعذيبك؟»

شدّها بتسوّة وقال:

- ما كان اسم خطيبك الأول؟

- أتوقع مني أن أذكره؟

تراكم ضغط كبير في نفسها فخدر أصابعها. رفقت أهدابها

تحاول أن تبيّن قسمات وجهه، فشدّ بأصابعه على خصرها، فدفت

وجهها

في صدره سحرها مشاعر رهيبة

لابد أنها

فقدت الوعي، فقد رأته يستند نفسه على مرافقه وبهمس

لها:

- لا تغبي عن الوعي عندما تكونين معى!

رددت بعذوبة وضعف: «لا».

مرر إصبعه على شفتيها المرتعشتين.

- أظنني أريد منك الكثير ..

نظرت إلى عينيه: «ما الذي يصيّبني غارث؟»

- لقد أحست الإحساس نفسه منذ زمن بعيد.

- متى؟

- يصعب التحديد. فلتواجه الأمر حبيبي فليس هناك ما لست

موهوبة فيه.. أنت خلابة.. يا الله ليس لديك فكرة.. يجب أن

أغازلك دائمًا لتعاملج بهذه الطريقة ميلك إلى فقدان الوعي.

- وكانتني أراك تكره نفسك!

- لم أخطئ للرغبة فيك إيف بل حدث ذلك هكذا.

رفعت ذراعها تطويها فوق جبهتها.

- أنا آسفة.. أتراني خطأ عليك؟

أبعد ذراعها بيسبها فوق رأسها واتبعها بالأخرى.

- أعرف أنك خطأ علي، فطالما كنت معلمك في كل شيء.

- إذن.. لا نستطيع فعل شيء؟

نظر إلى وجهها اللوني وإلى قدها الرشيق المحدد وأطال النظرة

شعرت بازدياد توردها.

قال: «لا.. نحن محظوظان لأننا لستا وحدنا.. إنها أفضل طريقة

لضبط النفس».

قالت بمرارة: «وكيف تضبط نفسك؟»

طأطاً برأسه وكانتما يهم بتنقيتها.

- لن أتمكن حقاً من أذيك. إيف ربما أتمكن من أذيك قليلاً

فقط.

في تلك اللحظة تحركت فيكتوريَا في نومها متمنية باسم غارث

بصوت مرتفع.

شهقت إيف بجهون: «رباً! أظنك مدبرنا لها بالزواج».

- لديها الكثير مما تقدمه لي أما أنت فلا.. لهذا ما تفكرين فيه؟

تعالى إلى هنا واصمتني.

أعاد رأسه إلى سرجه.. وأحسست إيف بالإهانة ولكنها اضطررت

للبقاء:

- شكرألك.. لا تضع ذراعك حولي.

- إن لم يعجبك ذلك اذهب إلى مكان آخر

ولكنها لم تذهب بالطبع.

عندما استيقظت غارث في الصباح الباكر وضع رأس إيف الحريري

بملطف على الأرض.. كانت تغط في سبات عميق أما هو فلم يدق طعم

النوم إلا قليلاً.

- معلم؟

وصلت إلى مسمعيه همسة كونتري، فرد عليه:

- حضر نفسك لتنطلق.. لا أريد تعريض الفنانين للخطر كما لا

أريد أن تعرضا طريقتنا.

- حاضر سيدى!

دللت لهجتها على أنه يتضايق من وجود النساء.

أيقظت الطيور المترنحة فوق صفحة الماء الصافية إيف التي هبت

من منامها سرعة بحث عن الرجالين فإذا هما غير موجودين.. كانت

فيكتوريَا وحدها عند حافة الماء.. تفلس وجهها وعنقها.

قالت بانفعال: «ولكننا تباحثنا هذا الأمر...»
 كانت بشرة إيف الرقيقة تظهر علامات أصابع فيكتوريا، أجابتها:
 «وما هي التسعة؟»
 - إنه يعني!
 - إذن عليه وضع الخاتم في إصبعك... ولو كنت مكانك فيكتوريا
 لحددت له موعداً نهايـاً... إما الزواج أو لا شيء...
 آه... ولكنني أرفع مستوى من هذا.
 - إذن لن نرى هذا الخاتم أبداً... على أي حال... من أنت؟ امرأة
 في أواخر العشرين؟ من السخف والغباء هدر وقتك هباء.
 التقطت فيكتوريا قبعتها:
 - وأنت اعني بشؤونك الخاصة!
 - وساكون راضية سعيدة إن فعلت الشيء نفسه، ما أزعج أن
 تعامليني كطفلة.
 - هذا ما أراك عليه.
 - أنت هيئـة إذن.
 التقطت فيكتوريا سرجها وتوجهت نحو ضفة البركة. كانت
 متناسقة بشكل مذهل، وقوية. هزت إيف رأسها وسارت نحو الماء.
 هل تناوش غارث وفيكتوريا بأمر الزواج؟ غارث غير مغمـر بها
 بالتأكيد ولكن ربما لا شأن للغرام في زواج الأغباء. هذا ما قاله غارث
 بنفسـه... لدى فيكتوريا ما تقدمـه. هناك مزرعة «كابسولا» وكل ما هو
 ملحق بها.
 بعدما أسرجـت جوادها، صفت فيكتوريا كفل فرس إيف
 الحـاسـةـ التي هـرـعـتـ لاـ تـلـوـيـ علىـ شـيـءـ.
 التفت نحوها غافـسةـ: «أيتها الحـمـقاءـ».
 قالت فيكتـيـ شـامـةـ: «ستـكونـ أمـامـكـ مـسـيرـةـ شـاقـةـ طـوـيـلةـ».

صاحت إيف بصوت مرتفع: «تبـأـ لهمـاـ لـقـدـ رـحـلاـ!»
 عادت فيكتوريا إليها تنسـج وجهـهاـ منـ المـاءـ:
 - إنـهاـ غـلـطـتـ فـعـلـيـ ماـ يـدـوـ أـنـ غـارـثـ قـلـقـ عـلـىـ حـمـلـهـ الـودـيعـ.
 ظـلتـ إـيفـ لـلـوـهـلـةـ الـأـوـلـىـ أـنـ فيـكتـورـيـاـ شـاهـدـهـمـاـ:
 - وهـلـ بـقـلـقـكـ شـيـ مـحـدـدـ؟
 - لـمـاـذـاـ جـهـتـ إـيفـ؟ـ المـجـرـدـ الـإـزـعـاجـ؟
 - حـسـنـاـ... أناـ بالـفـعـلـ أـزـعـجـكـ.
 - وـتـعـرـفـنـ السـبـبـ؟ـ أـنـ أـحـبـ الـخـوـضـ فـيـ الـمـوـضـوـعـ بـشـكـلـ مـباـشـ.
 أـرـىـ أـنـكـ تـرـيـدـيـنـ الـعـبـثـ مـعـ غـارـثـ وـلـاـ يـعـجـبـنـيـ ذـلـكـ أـبـداـ.
 وـقـفـتـ إـيفـ تـطـوـيـ الـبـاطـسـ:ـ أـرـىـ ذـلـكـ بـوـضـحـ.
 قـفـزـ تـعـبـيرـ مـنـ نـوـعـ أـخـرـ إـلـىـ عـيـنـيـ فيـكتـورـيـاـ:
 - تـعـرـفـنـ أـنـكـ كـنـتـ فـيـ الـجـهـةـ الـأـخـرـىـ لـلـنـارـ لـيـلـةـ أـمـسـ!
 - غـيـرـتـ مـكـانـيـ!
 نـظـرـتـ فيـكتـورـيـاـ إـلـيـهاـ بـغـضـبـ وـأـرـتـابـ:ـ الـنـكـوـنـيـ قـرـبـ غـارـثـ؟ـ.
 قـالـتـ إـيفـ مـنـعـةـ:ـ إـلـيـكـ تـوـقـفـنـ عـنـ الشـجـارـ فيـكتـورـيـاـ.ـ فـمـاـ إـنـ
 بـمـضـطـرـ لـطـلـبـ الـإـذـنـ مـنـكـ فـيـ أـيـ أـمـرـ كـانـ وـلـاـ أـظـنـ أـنـ غـارـثـ مـضـطـرـ
 لـهـذـاـ أـيـهـاـ...ـ.
 خطـتـ فيـكتـورـيـاـ إـلـىـ الـأـمـامـ يـعـنـفـ وـأـمـكـتـ ذـرـاعـ إـيفـ:
 - مـاـ تـفـعـلـيـ شـيـئـاـ...ـ غـارـثـ لـيـ!
 نـظـرـتـ إـيفـ إـلـىـ يـدـ فيـكتـورـيـاـ الـقـوـيةـ:ـ هـلـ تـسـجـنـ؟ـ.
 - قـالـتـ أـمـيـ إـنـكـ تـنـوـيـ شـيـئـاـ...ـ مـاـذاـ دـهـاكـ إـيفـ؟ـ أـلـآنـ عـلـاقـتـكـ
 الـأـخـيـرـةـ لـمـ تـنـجـعـ سـعـيـتـ إـلـىـ غـارـثـ؟ـ.
 نـزـعـتـ إـيفـ يـدـهـاـ مـنـ قـبـضـتـهـاـ يـعـنـفـ:
 - الـأـعـزـبـ يـقـيـ صـيـدـاـ حـلـالـاـ حـتـىـ يـتـزـوـجـ أوـ حـتـىـ يـخـطـبـ اـمـرأـةـ عـلـىـ
 الـأـقـلـ.

- وماذا سيقول غارت بر أيك؟

- لا شأن لي أبداً، فهل أقدم أنا على شيء؟ كهذا؟ كنت أضع السرج على الفرس حين أغلقها شيء ما فغيرت وضعك منشفية.

- وماذا إن رأى الفحل المتوحش الفرس؟

ابتسمت ابتسامة لوم رفيعة:

- لن يفعل... ولو حدث ما لا تحمد عقباه فهي غلطتك.

قالت إيف بازدراء: «خلتني تجذيب الجنادل. حسن جداً... انطلاقي...»

أصبحت الآن وحدها فلا جدوى من محاولة استرجاع الفرس. يا لمحماقة فيكتوريابا!

غسلت إيف وجهها في الماء مستمتعة بالمياه الباردة الصافية. إن هذا المكان مركز مهم للماء... ولا شك أن أحداً سيرجدها هنا إنما من؟ أخذت بعض الماء في يدها مرة أخرى ورشته على وجهها الذي أصبح براقاً كالسانان الأبيض... كان في الماء حجارة ملونة رائعة تناولت منها عدداً كبيراً دسته في جيبها.

وفيمما كانت تنسها في جيبها تذكرت ليلة البارحة أن غارت عاتقها ليلاً... يمكن لأحد أن يشرح لها كيف لمداعبات رجل أن تكون نعمة من النساء، فيما تكون أخرى رهبة؟ اجتاحتها المشاعر التي اعتملت في نفسها البارحة ولكنها خافت مما شعر به.

إنها ت يريد غارت بقوة ولكن ماذا بعد أن يأخذ منها ما يريد، ألم تكون حياتها ساعتها فارغة؟ لا تتحقق الرغبة دائمًا السعادة لهذا على من يريد أخذها أن يقول «أحبك» لتوافق.

صاحت بصوت مرتفع: «آه! اللعنة عليك غارت».

وأجلقت صيحة إحباطها الطيور... فانطلقت من أعشاشها.

رأيت في جهة البركة الأخرى كنفار و جميلاً ينظر إليها وهو على ما يبدو حازماً في أمره: أيسرب أم بفر هاري؟ وفدت إيف مسرورة حيث هي تبعث الأطمئنان في قلب هذا الحيوان. وهذا ما حدث فند مطاطاً الكنفار و برأسه إلى الماء يشرب منه.

تابعت إيف سيرها مستمتعة بجمال البرية... أحسنت أنها صغيرة أمام هذا القفر الجميل المخيف. وفي الطريق مررت بفلو صغير حديث الولادة فحدثت إليه بدهشة وهي تكاد لا تصدق ما رأته عينها.

- بالك من صغير جميل!
جئت على ركبتيها مذهولة بهذا الطفل: «أيها الحبيب الصغير!»
نظرت حولها تفتش عن أثر:
- أين أمك؟

لقد خُبِيَ الفلو جيداً ولكنه رغم هذا ما زال معرضأً للخطر. إنها هنا في مكان ما. ربما هي من أتباع الفحل «المahuغوني» اللون... عرفت إيف أنها ستواجه خطراً داهماً إن عادت الفرس الأم التي لن تتوقع وجود بشري قرب ابنها الغالي.

جلست إيف بين ثنيات شاتك متوقعة قدوم الأم في آية لحظة. ومع أنها ظلت مختبئة بين الأزهار الزكية الراشحة لم تظهر الأم... أهي مريضة يا ترى؟ أم مبتة؟ لا تعود الفرس إلى رسيلها بعد الولادة أبداً. قد لا تعود في بعض الأحيان إلا بعد أشهر... وهناك قواعد وقوانين حتى في البرية... إذن... أين هي الأم؟

أخيراً قررت إيف البحث عنها، فالأم بلا شك في مأزق، وإلا لما هجرت فلوها... .

قرب البركة وجدت إيف فرساً كستانية تحضر فترقرقت عينها بالدموع.
- يا للمسكينة!

الفرس البرية التي لم تسمع قط صوت إنسان أو أحست بيده عليها استكانت وكأنها أدركت أن هناك من يوازيها، اقتربت إيف من الفرس المختبأ تدفعها رغبة عามرة إلى احتضان رأسها. ولكنها غيرت رأيها خشبة أن تبعث الذعر إلى قلبها، فجلست غير بعيدة عنها تتحدث بهدوء، تقول للفرس إنها سترعى الفلو. تعرف إيف أن الفرس لا يفهم ما تقول ولكنها سترعى بصدق مشاعر الإنسانة التي تجلس قربها. وعندما فاضت روح الفرس أحست رأسها بين يديها وأجهشت بالبكاء.

حين وجدتها غارث، كانت تجلس بين الزهور والفلو في حضنها. ترجل بسرعة عن صهوة جواده، ينظر إلى ما حوله بحثاً عن الأم الثائرة بدون شك.

ـ يا إلهي !

لم ترفع إيف رأسها: «لا بأس إنها ميتة».

زفر نفاساً مخنوتاً: «آه، أين كنت؟ كدت أفقد عقلي».

رفعت إيف وجهها المغروف بالدموع.

ـ وعدت الفرس أن أهتم بفلوها.

مد يده يمسح لها الدموع: «لا بأس في هذا».

ـ لم أجرؤ على العراك لازلاً أفزوعه... يبدو ضعيفاً جداً.

تقليم كونواي وقال بصوت لطيف جميل:

ـ ساخذه آنسة... إنه فلو جميل صغير ولكنه جائع.

عندما أخذت كونواي الفلو عن حضنها رفعها غارث عن الأرض:

ـ تعالي إيف... ستعود إلى البيت.

وصلت فيكتوريا التي أوقفت جوادها ونظرت إليهم:

ـ لم تسألنا إن كنا قد وجدنا الفحل.

نظرت إليها بسرعة، ثم ردت طرفها:

ـ لقد وجدتموه طبعاً فانا أرى كولومبيا.
قال كونواي:
ـ اضطررنا لقتله آنسة. كانت الطريقة الوحيدة لاستعيد الفرس
ـ أوه !
ولم تفوت الكلمة أخرى فهي تعرف أن غارث لا يرحم أحداً عندما يتعلّق الأمر بمتلكاته.
سمحت له أن يضعها أمامه، غير مدركة للنظرة الشرسة التي رمقتها بها فيكتوريا هل سار أي شيء كما خططت؟
قال غارث يهدو: «لا تقلقي على الفلو الذي يملك فرصة كبيرة للعيش».
استدلت نفسها على صدره مأخذة بقربه منها:
ـ سأطلب من أنتا المساعدة... إنها تخاف الجياد، ولكنها لن تخاف من فلو صغير.
ـ معك حق... منذ عشر دقائق كنت أستبط غضاً وقلقاً... أما الآن فلا أشعر بشيء من هذا القبيل.
واشتدت ذراعه حولها فشعرت لحظتها أن هناك رجفة وراء قوته الحديدية.

٥٠٠
كان استقبال أنتا للمخلوق الصغير البسيط كل ما تشهده إيف.
فقد همست الصغيرة:
ـ أيمكنتي أن أمسك؟
نظرت إيف إلى الطفلة: «وياما كانك إطعامه».
لم تصدق أنتا أذنيها: «إطعامه؟»
ـ علينا أنا وأنت رعايته.
ـ لكنني أخطئ في كل ما أقوم به، وقد أؤذيه

ستان قبل أن يغادر أن أعطيها دروساً في الرسم.. كريستين، أنت قادرة على هذا.. كما أن ابنته ورثت مثلك هذه الموهبة وفقت كريستين فجأة وهي تكاد تطير يكرسها أرضًا: - إذن.. هذا ما سيكون دوري في الحياة؟ أعلم فتاة في الرابعة من عمرها! لا أدرى لماذا تبدون تأثيركم بخرباتها.. من الواضح أنكم لا تعرفون شيئاً عن الموهبة!

رد غارث بتفاظفة: «من الجلي أنك لم تنظرتي إلى مجموعتنا من اللوحات الفنية!»

- حسناً، لديكم أطفال من المال والذوق السليم.. وأتمنى لو نقاربوا رسائلي الأولى بما ترسمه أنتا، وسترون لماذا لا تستطيع العمل على سلسلة من الخربات المتألقة الآلوان.. إنها بشعة، غير منتظمة، وتظهر بوضوح أن أنتا طفلة مضطربة.

سألها غارت بهدوء: «الآن تدينين أية مسؤولية؟»

- لا.. لا.. لا..! لماذا تقلب علي غارث؟ أنت تعرف أنت فعلت ما يوسي.. قالـتـ الـجـدةـ بـحـزمـ وـهـدـوـءـ:

- أرجوك، عودي إلى مكانك كريستين.. ندرك أنك كنت تعصي بسبـ أـبـنـاـ صـاحـبـ بـيـوسـ: «أـبـنـاـ»

وضـمـتـ يـديـهاـ،ـ تـنـظـرـ إـلـىـ السـقـفـ المـزـينـ بالـجـصـ المـخـفـورـ..ـ وـتـدـفـقـتـ الدـمـوعـ مـنـ عـيـنـيهـ،ـ فـوـقـ العـمـ دـايـدـ يـلـفـ ذـرـاعـهـ حـولـهـاـ: «ـاصـحـبـ إـلـىـ غـرـفـتكـ»

انسـلـتـ كـريـسـتـينـ مـنـ بـيـنـ ذـرـاعـهـ بـعـنـفـ: «ـاـذـهـبـ إـلـىـ الجـهـيمـ»

وـهـرـعـتـ إـلـىـ غـرـفـهـاـ،ـ لـمـ يـنـطـلـعـ أـحـدـ إـلـيـهاـ وـهـيـ تـرـكـضـ..ـ وـأـحـتـ الـجـدـةـ رـأـسـهـاـ بـحـزـنـ

- لن يحدث هذا.. سأعلمك، ثم تتبادل الأدوار

- لكنني أخاف أحياناً يا إيف.. حست الطفلة إلى صدرها:

- لا بأس جيبي.. كلنا نخاف أحياناً.. لكننا نتمر في المحاولة.. سأساعدك وأعلمك.. إن الفلو جائع جداً وعليك مساعدته ليعيش، تذكرني أن جانه وقف علينا.

قالت الصغيرة وقد شعرت بالمسؤولية:

- أربـيـتـ كـيـفـ..ـ صـدـقـاـ..ـ إـنـهـ جـمـيلـ!

كانت معجزة من نوع ما.. فقد حدثت هذه الحادثة بداية نهاية خوف أنتا من العباد.. منذ تلك اللحظة تعلقت بالفلو فراحت تعتنى به عنابة ما كان يقدمها طفل آخر.. وقد حدثت أن عاشت في الأسفل نفرياً، ولكن كريستين لم تكن تسمح بمرور هذا بدون تعليقات لاذعة.

- يـدـوـاـنـ أـبـتـيـ آـنـ مـرـبـيـةـ خـيـولـ

كان الجميع متحلقين حول مائدة العشاء.. فاحمر وجه العم دايـدـ بـشـدـةـ وـقـالـ:

- يـدـوـاـنـ لـاـنـوـافـنـ عـلـىـ أـيـ شـيـ تـفـعـلـهـ!

لم يكن هجومه متوقعاً، فبدت كريستين مضطربة

نابـعـ: «ـأـرـىـ أـنـ مـاـ يـحـدـثـ لـهـ مـعـجـزـةـ نـفـرـيـاـ»

عـضـتـ كـريـسـتـينـ شـفـتهاـ وـطـأـطـاتـ رـأـسـهاـ..ـ أـجـالـ العـمـ دـايـدـ نـظـرـهـ

حـولـ المـائـدةـ وـأـكـملـ:

- وأـوـدـ كـذـلـكـ أـنـ أـقـولـ وـأـمـامـ الجـمـيعـ أـنـيـ أـدـيـنـ كـثـيرـاـ لـإـيفـ التـيـ

فـهـمـتـ أـبـنـاـ..ـ اـعـتـقـدـ أـنـهـ الـطـفـلـ وـأـرـقـ مـخـلـوقـةـ عـلـىـ وـجـهـ الـأـرـضـ فـنـدـ

أـظـهـرـتـ لـيـ وـلـكـريـسـتـينـ مـدـىـ خـطـطاـنـاـ بـشـانـ أـبـنـاـ..ـ فـيـ بـعـدـ كـلـ الـبعـدـ

عـنـ التـخـلـفـ وـبـطـءـ الـاسـتـيـعـابـ..ـ أـبـنـاـ طـفـلـةـ مـنـفـوـقـةـ مـوـهـوبـةـ..ـ لـقـدـ حـتـنـيـ

فيما تحول وجه غارت المصدوم إلى سخرية مريرة.. وبدا على العم دايدل الألم والإحراج، أما إيف فابتلى رأسها الذهبي الشعر محينا باتجاه كوب من الكريستال.

قال دايدل، وكأنه لا يوجه كلامه لأحد:
ـ أظن أن زواجي كارثة.

رد غارت بصر مرير:
ـ لا يقع اللوم عليك.. لماذا لا تخرج من نفسك كل ما يعتمل فيها؟

التفت العم دايدل إلى ابن أخيه متهدأ:
ـ وماذا تقترح أن أفعل؟

ـ لو كنت مكانك، لضررتها.

مدت الجدة يدها تشرب قليلاً من العصير تقوى به نفسها:

ـ لماذا لا تفعل ما اقترحته عليك؟ خذها بعيداً لفترة وستكون أنتا على خير ما يرام هنا..

ـ اللعنة على كل شيء أمني.. لا أريد السفر..
ـ تحداء غارت بفظاظة: «الا ترى إنقاذ زواجك؟»

بدت الدهشة على العم دايدل:

ـ يا إلهي! أيمكن لرحلة أن تومن السعادة لكريستين؟
سؤاله غارت:

ـ إذن.. مَاذا ستفعل؟ العيش في الوايت هاند لا يكفي
كريستين.. ما كان عليك من الأصل إبعادها عن المدينة.

رمي العم دايدل نفسه على الكرسي مهزوماً:

ـ شرحت لها وضع الحياة في المزرعة وكانت مثليفة للمجيء.
ـ أعتقد أنني زوج رهيب.

قالت الجدة:

ـ ربما لم تنظرا إلى بعضكم البعض كما يجب.. فالحبة صعبة حين لا يشارك الزوجان الاهتمامات نفسها.. وكريستين لم تقبل العيش بالريف كما لم تقبل أمومتها.. ربما تتجه نزاعتها نحو موهبتها.. وهي فعلاً موهوبة.. فتلك اللوحة التجربية في غرفة نومها رائعة.

مد العم دايدل يده ليمرر له غارت إبريق الشراب.

ـ من المؤسف ألا يكون زوجها موهباً.. فلست ناجحاً في شيء..

بدا الاستياء على الجدة:

ـ يا ابنى الحبيب.. أنت تقسو على نفسك..
ـ إن هذا ما أرى نفسي عليه.. سأرى أين ترغب كريستين في الذهاب، وسأخذها.. ولكن هل الجري في كل اتجاه سب حل المشكلة؟
بعد ساعات في وقت كان يجب أن تكون فيه إيف نائمة نزلت إلى الأسفل بحثاً عن كتاب تقرأ وتنام.. من عادتها أن تغفو بعد قراءة فصل أو بزيده، والكتاب في يدها ولكن معينة العم دايدل أثرت فيهم جميعاً.. حتى أن الجدة طلبت دواء متوكلاً يساعدها على النوم.

ـ لا يترك المنزل عادة بلا أنوار وكانت ترك دائماً بعض المصابيح مضاءة لثلا يتعثر السائز ليلًا فيؤذي نفسه..

ـ بدا لإيف فجأة أنها تحب المنزل على حالي هذه، يعمته الذهبية.. فالنور الذهبي الخفيف يحول كل شيء بحيث تصعب المناظر المختلفة عميقة وغامضة.

ـ عندما سمعت صوتاً صادراً من مكتبة غارت توافت مصدومة.. إنها كريستين التي كانت تقول ما جعل أعضاء إيف تتضطر.

ـ أريد أن أكرهك غارت لكنني لا أستطيع!
ـ أما عليك أولاً أن تقولي إنك تحببتي؟

صاحت كريستين ثانية العواطف

- يا لك من نذل ساخر .. هل أحببت امرأة فقط؟

- تأثرت بواحدة فقط

- كنت أعرف هذا!

جعل النصر في صوت كريستين إيف تقفز .. وأكملت كريستين:

- أنا لك تأخذني غارت .. وهذا ما كنت تريده منذ دخولي هذا

المنزل.

رد غارت بقصبة متوجحة جعلت إيف تكتمش:

- توقيتي عن هذا! لقد فهمت كل شيء بطريقة خاصة .. فلم أنظر إليك فقط أكثر من كونك امرأة دايفد.

توسلت إليه: «لا تغضب! أعرف أن الموقف رهيب ولكننا نستطيع حلله .. فدايفد رجل محترم وهذا يعني أنه لن يجربني على زواج لا أريده».

سألها بصوت أحشر مرتفع غضباً:

- وماذا كانت المشاعر الغامرة التي أحسست بها يوم زواجك به؟
أكانت جشعًا؟ أتعتقدين أنني لم أنحقق من أصلك ونبيك.. لم تسمحي لوالديك برؤية حفيديثهما أبداً.

قالت كريستين بصوت تخنقه الدموع: «أنت لم تفعل هذا».

- لا أنهملك كريستين أعرف الحب وما أحس به نحوك هو مجرد شفقة.

صاحت بصوت مرتفع بشغ:

- متوجه ظالماً!

سمحت إيف لنفسها بالتدخل .. فهرعت نحو الباب، ودفعته، ثم
استدلت نفسها إليه تقفله.

- لا يمكنك إيقاف صوتك مخفضاً؟ أكره أن يسمع العم دايفد ما

نشريلن ..

فتحكت كريستين بهisteria: «ومن يفهم؟»

قال غارت بحدة: «لا تخافي إيف .. لن تذهب كل شيء».

استدارت كريستين نحوه بشوبها الشفاف:

- صحيح؟ لا تذكر أنك نحس بشيء ما نحوه .. فقد شاهدتك

مراراً تنظر إلى .. لست غبية .. أعرف تماماً مني بشتهيني رجل

تأوهت إيف ووضعت يديها على فوديها:

- هذه العائلة تحطم إلى شظايا!

أصبح وجه كريستين الغريب قناعاً حجرياً

- من طلب منك التدخل؟

- سأعود إلى غرفتي ..

قال غارت متعباً: «لا تذهب إيه لا أطيق وجودها».

قالت إيف: «إذن أوقف هذا كله وقل لها إنك لا تجدها».

تمتم حاتقاً: «رباً ما خطبك أيتها السيدة؟ كريستين كيف قلبها

على حب محروم وكانت المعلم المسكون الذي فررت أن تعجبه .. وهذا

ما صدمها صدمة عقلية منذ وطئت قدماها أرض هذا المنزل .. الواقع

أنها كانت تغلي شوقاً طوال خمس سنوات».

أحسست إيف بالإذلال الذي ينزله بكريستين، فقالت توبخه:

- لا تقل هذا غارت .. لا تكون لاذعاً في كلماتك.

انحنى ساخراً: «أنا أسف .. لبنتي أقدر أن أكون ألطاف بشأن هذا

الأمر لبني ..

مدت كريستين ذراعيها نحوه: «لا تظاهر غارت فاللوم يقع عليك

لأن أموراً كهذه تحدث .. لا نستطيع أن نقرر من نحب .. لا أعرف

لماذا غادرت فيكتوريا البيت فجأة؟ لأنها فهمت أخيراً أنك لا تهتم بها

أبداً».

رد ساخراً: «وأن لك أن تفهمي أنت ذلك».

نذكرت إيف الطريقة التي غادرت فيكتوريا بها نجاة، فسألت:

ـ ماذا قلت لها؟

مررت عيناه على وجه إيف الصغير المستعد للنوم:

ـ لم أقل لها إلا أني استعد لتنفس خططي للزواج بفتاة أخرى.

شبح وجه كريستين شحوباً شدداً حتى كاد يغمى عليها.

ـ ماذا؟

اقترب غارث من إيف ووضع يديه على كتفيها:

ـ هذا ما يفعله معظم الناس.. الواقع يا كريستين أن إيف هي فتاة أحلامي منذ وقت طوبل.

ـ أنت مجحون!

لو كان مع كريستين خبز لدفته في قلب إيف.. وسألها بيرود:

ـ لا تعجبك الفكرة؟

دارت كريستين كالمجونة حول الغرفة:

ـ لا أصدق هذا! إيف مجرد طفلة!

أصبحت إيف بالصدمة بحثت عجزت عن فهم ما يجري حولها.

قال غارث: «لم تعد صغيرة فستبلغ العادية والعشرين».

نظرت كريستين إلى إيف المصودمة بعجز:

ـ إنه يمزح.. أليس كذلك؟

قالت إيف بيقطط: «أظنه جاداً في قوله».

فهمت إيف آخرأ المأساة. لقد أراد غارث وضع حد لكريستين

فاختارها لتكون وسيلة خلاصه من زوجة عمه.

تمتمت كريستين بذهول: «أظنتني مضطرة للذهاب إلى النوم..».

تقدم غارث إلى الباب بسرعة وفتحه:

ـ أفعلي ما هو متعقل ومنطقى كريستين.. وامحي الأمر كله من

فكرك وأعدك أن أمحوه من فكري.

ـ ثم هرعت إلى الخارج.. قالت إيف: «لقد أنهيت الأمر ببراعة».

قال يعطف تقريراً: «هذا ما أتمته! أمرتان في أسبوع واحد.. يا

الله.. هذا كثير!»

غرقت إيف في حضن مقعد وثير:

ـ يا للمسكين!.. أذكر في النساء اللواتي أسرتهن فتنتك!

ـ أتصرف عادة بشكل لائق مع النساء.

تقدم إلى المكتب ليمسك كتاباً رماه إلى الحائط فجأة!

هرزت إيف رأسها: «مسكينة كريستين!.. ستكرهك الآن».

ـ أفضل أن تكرهني هي على أن يكرهني شخص آخر.. وأأمل أن

يصحبها دايڤد في رحلة إلى الخارج، ويتركها هناك.

نطلعت إلى غارث الطويل القامة الرشيق العركة.

ـ وماذا ستفعل؟ أهنتي فيما بعد.. فإن تكرهك كريستين لأمر سيء».

كعبها لك. الأمر كلهم محرج.

تحولت نظرات غارث من الاشتراك إلى التسلية:

ـ هذا ما لا يمكن إنكاره.. على أي حال، عندما يعودان

فيسيجداننا متزوجين.

احسنت فجأة بخطب يسبب عجرفه.

ـ لكن.. لدى خططى الخاصة!

ـ بما مسروأ للهشاشة في صوتها: «حقاً؟ وما هي؟».

ـ لست مجبرة على قولها.

ـ بل أنت مجبرة.

صاحت ينهرور: «أنت مسلط غارث».

ـ وهذا يناسبك. هل هناك من قد يناسب سيد الرايت هاند غير

فاننة عذراء في العشرين من عمرها.

- ربما خدعتك.

هز رأسه: «لا يا طفلاني... فاتت متعلقة بي منذ سنوات».
أرادت إيقافه عند حده.

- صحيح؟ لم أعرف هذا إلا منذ وقت قليل.

- لأنك حتى الآن كنت أشيء بارتباط صغير مذعور.
- أربك؟ أنا راشدة.

هبت عن الكرسي مضرجة الوجنتين.. فمدد يده إلى خصرها
يشدّها إليه:

- لم تصبحي راشدة ولكنك على الطريق إلى سن الرشد.
صاحت به، وهي لا تدرّي سبب غضبها.

- المستني... وستندم!

- وماذا ستتعلمين؟

- أرفض تلقّي أوامرك ما تبقى من عمري.
- ليس الأمر سبباً إلى هذا الحد.

إنها تكرّهه حين يتحدى تلك النظرة المتعرّفة: «بل هو سبب».
ترکها فجأة: «حسناً، هل أفهم من كلامك هذا أنني مرفوض؟»

- هل تتفقعني أن أصدق رغبتك في الزواج بي؟ أنت تریدني فقط
درعاً للحماية.

- لا تصفعين معي هذا المعروف الصغير؟
ترابعحت خطوات وجدتها ضرورية: «حتماً؟»

- لا أدرى! ما رأيك بخمسين سنة أو أكثر.
توسلت إليها: «كن جاداً غارث».

هز كتفيه:

- لكني جاد.. إن كان لا بد للوایت هاند من وریث فعلی فيجب
أن أتزوج.. وأنت أجمل فتاة عرفتها.

- لا أصدقك.

عاودته الغطرسة مجددًا، وكان يعرف أن كل ما عليه فعله هو
ملابسها:

- هل أساعدك على التصديق؟

قالت مترجمة: «لن نسوى بذلك شيئاً».
- بل يصعب ألا أسوى شيئاً.

طافت عيناه بقدّها الرشيق وبحثاها جسمها الفتني:
- إن مجرد النظر إليك كاف ليعيس أنفاسي.

اخشوشن صوته النابض بالحياة فجأة، فأغمضت إيف عينيها لأن
كل ما في غارث يجعلها ضعيفة جداً.. غير أنه حتى الآن لم يقل ما
ترى في سعاده، وقد لا يقوله أبداً.. فالاؤلويّة عنده للمزرعة وللحاجات
المزرعة.. المشكلة أنها تریده، تریده بياس.. ترید المزعج،
المزعج، الدبكاثاور، غارث.

جعلتها يداء الطائفتان عليها تصرخ عالياً متولّة:
- آه، أرجوك.. لا تتصمني.. لا.. لا!

وأطبق صدره على الثغر المعمتم بالكلمات فسمعت خفقات قلبها
تضجّ في أذنيها ولكن أهي خفقات قلب أم خفقات قلبها؟
قبل رأسها، ثم وجهها:

- يا لطفلكي السكينة! متى ستقلّبين اليوم مع؟
احسّت بمحجرتها ترتفع إلى أذنيها: «أبداً».

- بل ستتعلّمين لأنك لن تهرب..
صاحّت: «لا أنهن شيئاً.. فلم تطلب يدي حتى! إن ما تفعله هو
إملاء إرادتك على فقط».

ضحك ثم رفّها: «إيف زهرتي الصغيرة.. هل تتذكررين على
بالزواج بي أرجوك؟»

- يجب أن أكلم جدتي أولاً.

وضعها في حضنها بعد ما جلس : «ولماذا؟»

- لأنني لا أرغب في إزعاجها وهذا أمر في غاية الأهمية.

أسك رأسها الأشقر بين يديه وقال لها بصوت ملؤه السخرية :

- أهدتني، أنت غير مضططرة لسؤال الجدة لأنها تراك رائعة.

بدأت إيف باليكاء وقالت :

- اللعنة عليك غارث.. اللعنة عليك!

قال بعنف غير متوقع : «لا أبكي».

مررت يدها على خدتها : «ولم لا أبكي؟»

- لأنك إن يكفيت فقدت السيطرة على نفسى.

الأمر مريرك.. إنه لا يعني ما يقول قلم يسبق أن كان لامرأة مثل هذا التأثير على غارث. أحسست بأنها وسط عاصفة رهيبة، خائفة من الصواعق.

لامست طرف شفتيها بطرف لسانها فأحسست بطعم الملح من دموعها:

- إذن، من الأفضل لا أبكي.

احتضنها بلطفة يائسة فكان أن فضحت ما في نفسها بتنهيدة شوق وبارتاحف جسمها المشتاق إليه.

قال لها : «تعرفين أني أحبك بجنون.. أليس كذلك؟»

رفعت عينيها إليه : «لا».

- بل تعرفين هذا نعم المعرفة.

أترى هذا؟ أترى؟

توسلت إليه : «قل إنك تحبني».

رفع رأسها إليه ثانية : «انتظرتك سنوات حتى تكبري».

أمر لا يصدق.. ولكنك كان شاحب الوجه تحت بشرته.

- لكن، كل تلك النساء؟
شد خصلاتها الشقراء بقولها : «وهل ذكرت لك خطيبك
السابقين؟»

كادت عيناهما الخضراء أن تتلمعان وجهها الصغير
- لكتني ظلت بل ظلتنا.. جميعاً أنها تبكي وقد حدث أن قالت لي
ذلك المرأة إنكما متتفقان.

- أبداً!

- لكنك كنت تعاشقها وتغافلها.

- لا أذكر هذا.. صدقًا.

- يجب أن تذكري

ظهر في عينيه شيء من نفاذ الصبر.

- لم أحبهما فقط. أقصد يا إيف لا تغارى منها أو من سواها.

قالت بصدق : «أنا لا أغار.. الله يعرف المعاذًا.. ولكتني لا أغار».

أحسست بالتوتر في يده : «الآن يكفيك اعترافي بمحبك؟».

تنهدت:

- لا أستطيع إلا أن أبكي أسفى على كثير من الناس.

- أحد أسباب حبي لك هو العذوبة والعاطفة.

نظرت إلى عينيه بسرعة فإذا الصدق العميق فيهما.. وقال لها :
«وماذا تريدين مني أن أقول أيضًا؟».

عقدت ذراعيها حول عنقه.

- لا شيء.. هدفي الوحيد في الحياة أن أكون كل ما تريده أنت.

قال بانتصار حنون:

- أنت لي، إلى الأبد.. ستكون الحياة بدونك خالية من الطعام
والنكهة.

ضمهما إليه بصمت وقتاً طويلاً.. ثم تصاعدت العاطفة في

نفيهما . فلامست شفاه أهداها وصدفعها . فوجتها . . . و
في عيد ميلاد إيف الحادي والعشرين تزوجا . . . كانت نور ما
وصيفة الشرف . ومع أنه قد أصبح معروفاً الآن أن زواج دايتشد ماسترز
قد انفصمت عراه ، إلا أن ابنته الصغيرة أنيتا كانت منفعلة لأنها ستكون
حاملة الزهور للعروس . . .

أما إيف وغارث فكانا سينطلقان للقيام بشهر عسل خارجاً ولكن
هذا لم يهمها كثيراً . لأنهما عائدين .
وقفت أنيتا ذات الجسد النحيل المستقيم ، في فستانها الأزرق
الطوبل ، تمسك بيد أبيها تلوح لهما مودعة .

* * *

متعديات ليلاس الشافية

doode al Zaloc